الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لشيخ الإسلام ابن تيمية

تعليقات
فضيلة الشيخ العلامة
عبد العزيز بن عبد الله بن باز

طبعة منقحة ومخرجة الأحاديث

دار الاستقامة

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٣٥هـ - ٢٠١٣م

رقم الإيداع: ٢١١٦٨/٢٠٠٥م

جمهورية مصر العربية

ش الهدي المحمدي- أحمد عرابي - مساكن عين شمس - القاهرة

تليفون: ٠٠٢٠١٢٨٥١٨٣٤٤٢-٠٠٢٠١٢٢٧٤٨٣٢٦٣

تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٩٨٧٦٣٧٧

zahran_75@yahoo.com

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

تأليف

شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية
(٦٦١-٧٢٨هـ)

وبهامشه تعليقات مهمة

لفضيلة الشيخ العلامة

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

دار الاستقامة

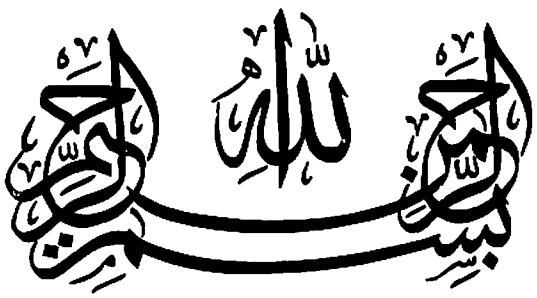

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ؛ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ، وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا.

فَصْلٌ: فِي الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ

الأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ بِهِ كُتُبَهُ وَأَرْسَلَ بِهِ رُسُلَهُ وَهُوَ مِنَ الدِّينِ، فَإِنَّ رِسَالَةَ اللهِ إِمَّا إِخْبَارٌ وَإِمَّا إِنْشَاءٌ.

فَالإِخْبَارُ عَنْ نَفْسِهِ ﷻ وَعَنْ خَلْقِهِ مِثْلُ التَّوْحِيدِ وَالقَصَصِ الَّذِي يَنْدَرِجُ فِيهِ الوَعْدُ وَالوَعِيدُ، وَالإِنْشَاءُ الأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَالإِبَاحَةُ.

وَهَذَا كَمَا ذُكِرَ فِي الحَدِيثِ أَنَّ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ سُورَةُ الإِخْلَاصِ تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ لِتَضَمُّنِهَا الثُّلُثَ الَّذِي هُوَ التَّوْحِيدُ لِأَنَّ القُرْآنَ تَوْحِيدٌ وَأَمْرٌ وَقَصَصٌ(١).

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ فِي صِفَةِ نَبِيِّنَا ﷺ: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، هُوَ لِبَيَانِ كَمَالِ رِسَالَتِهِ ﷺ، فَإِنَّهُ ﷺ هُوَ الَّذِي أَمَرَ اللهُ عَلَىٰ لِسَانِهِ بِكُلِّ مَعْرُوفٍ وَنَهَىٰ عَنْ كُلِّ مُنْكَرٍ وَأَحَلَّ كُلَّ طَيِّبٍ وَحَرَّمَ كُلَّ خَبِيثٍ.

وَلِهَذَا؛ رُوِيَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ»(٢).

وَقَالَ فِي الحَدِيثِ المُتَّفَقِ عَلَيْهِ: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ: كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَىٰ دَارًا فَأَتَمَّهَا وَأَكْمَلَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ، فَكَانَ النَّاسُ يَطِيفُونَ بِهَا وَيَعْجَبُونَ مِنْ حُسْنِهَا وَيَقُولُونَ: لَوْلَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ فَأَنَا تِلْكَ اللَّبِنَةُ»(٣).

---

(١) وجه كونها تعدل ثلث القرآن، لأن القرآن اشتمل علىٰ ما يتعلق بتوحيد الله، وما يتعلق بالأوامر والنواهي، وما يتعلق بالقصص عن الماضي والمستقبل، فصار ثلثًا بهذا المعنىٰ. اهـ.

س: قوله: الإباحة إنشاء؟

ج: الإباحة والتحريم إنشاء، فالإباحة والتحريم كلها من قبيل الإنشاء. اهـ. [ابن باز].

(٢) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٢٠٥٧١)، وصححه العلامة الألباني في «الإرواء» (٣/ ٤٠١).

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٣٤)، ومسلم (٦١٠١).

فِيهِ أَكْمَلَ اللهُ الدِّينَ المُتَضَمِّنَ لِلْأَمْرِ بِكُلِّ مَعْرُوفٍ وَالنَّهْيِ عَنْ كُلِّ مُنْكَرٍ وَإِحْلَالِ كُلِّ طَيِّبٍ وَتَحْرِيمِ كُلِّ خَبِيثٍ(١).

وَأَمَّا مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الرُّسُلِ فَقَدْ كَانَ يُحَرِّمُ عَلَىٰ أُمَمِهِمْ بَعْضَ الطَّيِّبَاتِ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠]، وَرُبَّمَا لَمْ يُحَرِّمْ عَلَيْهِمْ جَمِيعَ الخَبَائِثِ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾ [آل عمران: ٩٣].

وَتَحْرِيمُ الخَبَائِثِ يَنْدَرِجُ فِي مَعْنَىٰ النَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ كَمَا أَنَّ إِحْلَالَ الطَّيِّبَاتِ يَنْدَرِجُ فِي مَعْنَىٰ الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، لِأَنَّ تَحْرِيمَ الطَّيِّبَاتِ هُوَ مِمَّا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ، وَكَذَلِكَ الأَمْرُ بِجَمِيعِ المَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنْ كُلِّ مُنْكَرٍ مِمَّا لَمْ يَتِمَّ إِلَّا لِلرَّسُولِ الَّذِي تَمَّمَ اللهُ بِهِ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ المُنْدَرِجَةَ فِي المَعْرِفَةِ(٢).

وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فَقَدْ أَكْمَلَ اللهُ لَنَا الدِّينَ وَأَتَمَّ عَلَيْنَا النِّعْمَةَ وَرَضِيَ لَنَا الإِسْلَامَ دِينًا.

وَكَذَلِكَ وَصَفَ اللهُ الأُمَّةَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَبِيَّهَا ﷺ؛ حَيْثُ قَالَ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾

[آل عمران: ١١٠].

---

(١) ولهذا أجمع العلماء علىٰ ما دل عليه كتاب الله وسنة الرسول من الختم للنبوة، وأن الله ختم به النبوة، فليس بعده نبي ولا رسول، وتمثيله بالقصر من أوضح الأشياء في هذا، مع قوله جل وعلا: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

فمن ادعىٰ النبوة بعده فهو كافر بإجماع المسلمين، لأنه خالف النصوص المتواترة القطعية من الكتاب والسنة. اهـ. [ابن باز].

(٢) لعلها: «في المعروف» لأن مكارم الأخلاق من آكد المعروف، فلعلها «في المعروف». اهـ. [ابن باز].

وَقَالَ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

وَلِهَذَا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُنْتُمْ خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ تَأْتُونَ بِهِمْ فِي الأَقْيَادِ وَالسَّلَاسِلِ حَتَّىٰ تُدْخِلُوهُمُ الجَنَّةَ»(١).

فَبَيَّنَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ خَيْرُ الأُمَمِ لِلنَّاسِ، فَهُمْ أَنْفَعُهُمْ لَهُمْ وَأَعْظَمُهُمْ إِحْسَانًا إِلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَمَّلُوا أَمْرَ النَّاسِ بِالمَعْرُوفِ وَنَهْيِهِمْ عَنِ المُنْكَرِ مِنْ جِهَةِ الصِّفَةِ وَالقَدَرِ، حَيْثُ أَمَرُوا بِكُلِّ مَعْرُوفٍ وَنَهَوْا عَنْ كُلِّ مُنْكَرٍ لِكُلِّ أَحَدٍ، وَأَقَامُوا ذَلِكَ بِالجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَهَذَا كَمَالُ النَّفْعِ لِلْخَلْقِ.

وَسَائِرِ الأُمَمِ لَمْ يَأْمُرُوا كُلَّ أَحَدٍ بِكُلِّ مَعْرُوفٍ وَلَا نَهَوْا كُلَّ أَحَدٍ عَنْ كُلِّ مُنْكَرٍ وَلَا جَاهَدُوا عَلَىٰ ذَلِكَ، بَلْ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُجَاهِدُوا، وَالَّذِينَ جَاهَدُوا كَبَنِي إِسْرَائِيلَ فَغَايَةُ جِهَادِهِمْ كَانَ لِدَفْعِ عَدُوِّهِمْ مِنْ أَرْضِهِمْ كَمَا يُقَاتِلُ الصَّائِلُ الظَّالِمُ لَا لِدَعْوَةِ المُجَاهِدِينَ إِلَىٰ الهُدَىٰ وَالخَيْرِ وَلَا لِأَمْرِهِمْ بِالمَعْرُوفِ وَنَهْيِهِمْ عَنِ المُنْكَرِ، كَمَا قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾، إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة: ٢١ - ٢٤].

وَكَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ

(١) أخرجه البخاي (٤٥٥٧).

عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾ [البقرة: ٢٤٦]، فَعَلَّلُوا القِتَالَ بِأَنَّهُمْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ، وَمَعَ هَذَا كَانُوا نَاكِلِينَ عَمَّا أُمِرُوا بِهِ مِنْ ذَلِكَ، وَلِهَذَا لَمْ تَحِلَّ الغَنَائِمُ لَهُمْ وَلَمْ يَكُونُوا يَطْئُونَ بِمِلْكِ اليَمِينِ(١).

وَمَعْلُومٌ أَنَّ أَعْظَمَ الأُمَمِ المُؤْمِنِينَ قَبْلَنَا هُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ المُتَّفَقِ عَلَىٰ صِحَّتِهِ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ البَارِحَةَ الأَنْبِيَاءُ بِأُمَمِهِمْ فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ - وَفِي رِوَايَةٍ: فَإِذَا الطَّرِيقُ مُمْتَلِئَةٌ بِالرِّجَالِ - فَرَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ أُمَّتِي فَقُلْتُ: هَذِهِ أُمَّتِي؟ فَقِيلَ: هَذَا مُوسَىٰ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَكِنِ انْظُرْ هَكَذَا وَهَكَذَا فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا قَدْ سَدَّ الأُفُقَ فَقِيلَ: هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ وَمَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ» فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَلَمْ يَتَبَيَّنْ لَهُمْ فَتَذَاكَرَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: أَمَّا نَحْنُ فَوُلِدْنَا فِي الشِّرْكِ وَلَكِنَّا آمَنَّا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ أَبْنَاؤُنَا فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا؟ فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»(٢).

---

(١) هذا الواجب العظيم، واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا قد ضعف الناس فيه كثيرًا، وقلَّ المهتمون به كثيرًا في هذا العصر، فالواجب علىٰ أهل العلم والإيمان أن يهتموا بهذا الواجب العظيم الذي جعل الله فيه لهذه الأمة الحظ الأوفر، وجعلها خير أمة في إيمانها وعملها الصالح وأمرها بالمعروف والنهي عن المنكر، فينبغي للمؤمن ألَّا يقصِّر في هذا وأن يحرص، لإحياء هذا الواجب وإظهاره بيده ثم لسانه ثم قلبه، والله جل وعلا أوجب المستطاع فقط، فينبغي للمؤمن ألا يبخل بلسانه ونصيحته لإخوانه، وقد مكَّن الله من ذلك ويسَّر ذلك، أينما كان، حتىٰ يكون من المحيين لهذا الواجب والمظهرين له والداعين إليه، والله المستعان. اهـ. [ابن باز].

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٥٢)، ومسلم (٥٤٢).

وَلِهَذَا كَانَ إِجْمَاعُ هَذِهِ الأُمَّةِ حُجَّةً؛ لِأَنَّ اللهَ قَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُمْ يَأْمُرُونَ بِكُلِّ مَعْرُوفٍ وَيَنْهَوْنَ عَنْ كُلِّ مُنكَرٍ، فَلَوِ اتَّفَقُوا عَلَىٰ إِبَاحَةِ مُحَرَّمٍ أَوْ إِسْقَاطِ وَاجِبٍ أَوْ تَحْرِيمِ حَلَالٍ أَوْ إِخْبَارٍ عَنِ اللهِ أَوْ خَلْقِهِ بِبَاطِلٍ لَكَانُوا مُتَّصِفِينَ بِالأَمْرِ بِمُنْكَرٍ وَالنَّهْيِ عَنْ مَعْرُوفٍ، وَالأَمْرُ بِالمُنْكَرِ وَالنَّهْيُ عَنِ المَعْرُوفِ لَيْسَ مِنَ الكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، بَلِ الآيَةُ تَقْتَضِي أَنَّ مَا لَمْ تَأْمُرْ بِهِ الأُمَّةُ فَلَيْسَ مِنَ المَعْرُوفِ وَمَا لَمْ تَنْهَ عَنْهُ فَلَيْسَ مِنَ المُنْكَرِ، وَإِذَا كَانَتْ آمِرَةً بِكُلِّ مَعْرُوفٍ نَاهِيَةً عَنْ كُلِّ مُنْكَرٍ فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ تَأْمُرَ كُلُّهَا بِمُنْكَرٍ أَوْ تَنْهَىٰ كُلُّهَا عَنْ مَعْرُوفٍ(١).

وَاللهُ ﷻ كَمَا أَخْبَرَ بِأَنَّها تَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَىٰ عَنِ المُنْكَرِ فَقَدْ أَوْجَبَ ذَلِكَ عَلَىٰ الكِفَايَةِ مِنْهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وَإِذَا أَخْبَرَ بِوُقُوعِ الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ مِنْهَا لَمْ يَكُنْ مِنْ شَرْطِ ذَلِكَ أَنْ يَصِلَ أَمْرُ الآمِرِ وَنَهْيُ النَّاهِي مِنْهَا إِلَىٰ كُلِّ مُكَلَّفٍ فِي العَالَمِ؛ إِذْ لَيْسَ هَذَا مِنْ

---

(١) وهذا ظاهر من الأدلة أن إجماع الأمة يكون حجة علىٰ خالفهم، لأنهم إذا أجمعوا فهم لا يجمعون علىٰ منكر ولا علىٰ ترك معروف، لأن الله قال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فلا يجوز أن يُجمعوا علىٰ ترك معروف أو علىٰ فعل منكر، لأنهم إذا أجمعوا زالت عنهم هذه الصفة التي قال الله عنهم بها، ويستدل علىٰ ذلك أيضًا بقوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي علىٰ الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم» فإذا أجمعوا دخل فيهم الطائفة المنصورة فصار إجماعهم حجة.

ولهذا أجمع العلماء - علماء الإسلام - علىٰ أن الإجماع حجة كما أن الكتاب حجة والسنة حجة، والإجماع المنضبط: هو إجماع سلف الأمة من الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم؛ إذ بعدهم انتشرت الأمة وتوزعت البلاد وتعذر الوقوف علىٰ إجماعهم.

فما أجمع عليه سلف الأمة فهو الحق، ولا بد أن يكون علىٰ نص. اهـ. [ابن باز].

شَرْطِ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ، فَكَيْفَ يُشْتَرَطُ فِيمَا هُوَ مِنْ تَوَابِعِهَا، بَلِ الشَّرْطُ أَنْ يَتَمَكَّنَ الْمُكَلَّفُونَ مِنْ وُصُولِ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ إِذَا فَرَّطُوا فَلَمْ يَسْعَوْا فِي وُصُولِهِ إِلَيْهِمْ مَعَ قِيَامِ فَاعِلِهِ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ كَانَ التَّفْرِيطُ مِنْهُمْ لَا مِنْهُ.

وَكَذَلِكَ وُجُوبُ الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ لَا يَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ أَحَدٍ بِعَيْنِهِ بَلْ هُوَ عَلَىٰ الكِفَايَةِ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ القُرْآنُ(١).

وَلَمَّا كَانَ الجِهَادُ مِنْ تَمَامِ ذَلِكَ كَانَ الجِهَادُ أَيْضًا كَذَلِكَ، فَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ مَنْ يَقُومُ بِوَاجِبِهِ أَثِمَ كُلُّ قَادِرٍ بِحَسَبِ قُدْرَتِهِ إِذْ هُوَ وَاجِبٌ عَلَىٰ كُلِّ إِنْسَانٍ بِحَسَبِ قُدْرَتِهِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ رَأَىٰ مِنكُمْ مُنكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَم يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»(٢).

وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، فَمَعْلُومٌ أَنَّ الأَمْرَ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ وَإِتْمَامُهُ بِالجِهَادِ هُوَ مِنْ أَعْظَمِ المَعْرُوفِ الَّذِي أُمِرْنَا بِهِ، وَمِنَ النَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ إِقَامَةُ الحُدُودِ عَلَىٰ مَنْ خَرَجَ مِنْ شَرِيعَةِ اللهِ، وَيَجِبُ عَلَىٰ أُولِي الأَمْرِ وَهُمْ عُلَمَاءُ كُلِّ طَائِفَةٍ وَأُمَرَاؤُهَا وَمَشَايِخُهَا أَنْ يَقُومُوا عَلَىٰ عَامَّتِهِمْ وَيَأْمُرُوهُمْ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْهُمْ عَنِ المُنْكَرِ(٣).

---

(١) ومراده رَحِمَهُ اللَّهُ «علىٰ الكفاية» ما لم يختص إنسان بشيء لا يشاركه غيره فيكون عَلَىٰ العين، كَمَا قال ﷺ: «من رأىٰ منكم منكرًا فليغيره بيده...» [أخرجه مسلم (٤٩)] الحديث، فإذا رآه جماعة صار فرضًا عليهم فرض كفاية، وإذا ما رآه إلا واحد صار فرض عين عليه، لأنَّه ما هنا غيره، فهو فرض كفاية في الجملة إذا لم ينفرد به أحد، فإذا انفرد به أحد دون غيره ورآه دون غيره؛ تعيَّن عَلَيْه مع القدرة بيده ثُمَّ لسانه ثُمَّ قلبه. فلو كَانَ في طريق أو في سفر أو في طائرة أو في قطار أو سيارة ليس فيهم إلا مسلم واحد تعين عَلَيْه التبليغ عَن الله وإنكار المُنكَر.

فالمقصود أنَّه إذا انفرد تعيَّن عليه، وإذا كَانَ معه غيره صار فرض كفاية. اهـ. [ابن باز].

(٢) سبق تخريجه.

(٣) وهَذَا بحث مهم، فإن أولي الأمر تنازع فيهم الناس، فقال قوم: إنَّهم الأمراء، وقال قوم: إنَّهم العلماء، والصواب أنَّهم المجموعة ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] المجموعة، العلماء =

فَيَأْمُرُونَهُمْ بِمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ، مِثْلُ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ وَهِيَ الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ فِي مَوَاقِيتِهَا، وَكَذَلِكَ الصَّدَقَاتُ المَشْرُوعَةُ وَالصَّوْمُ المَشْرُوعُ وَحَجُّ البَيْتِ الحَرَامِ، وَمِثْلُ الإِيمَانِ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَالإِيمَانِ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَمِثْلُ الإِحْسَانِ وَهُوَ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.

وَمِثْلُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ مِنَ الأُمُورِ البَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ، وَمِثْلُ إِخْلَاصِ الدِّينِ للهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَىٰ اللهِ، وَأَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَالرَّجَاءُ لِرَحْمَةِ اللهِ وَالخَشْيَةُ مِنْ عَذَابِهِ، وَالصَّبْرُ لِحُكْمِ اللهِ، وَالتَّسْلِيمُ لِأَمْرِ اللهِ.

وَمِثْلُ صِدْقِ الحَدِيثِ وَالوَفَاءِ بِالعُهُودِ وَأَدَاءِ الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَبِرِّ الوَالِدَيْنِ وَصِلَةِ الأَرْحَامِ وَالتَّعَاوُنِ عَلَىٰ البِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَالإِحْسَانِ إِلَىٰ الجَارِ وَاليَتِيمِ وَالمِسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالصَّاحِبِ وَالزَّوْجَةِ وَالمَمْلُوكِ، وَالعَدْلِ فِي المَقَالِ وَالفِعَالِ، ثُمَّ النَّدْبُ إِلَىٰ مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ، مِثْلُ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ.

وَمِنَ الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ كَذَلِكَ الأَمْرُ بِالِائْتِلَافِ وَالاجْتِمَاعِ وَالنَّهْيِ عَنِ

=

والأمراء، ومن في حكمهم كالمشايخ -مشايخ القبائل كَمَا قال المؤلف- فإن شيخ القبيلة أمير في المعنىٰ، لأنَّه أميرهم فيمتثلون أمره، وقد يكون امتثالهم لأمره أعظم من امتثالهم للأمير الرسمي، فواجب عَلَيْه أن يأمرهم بالمَعْرُوف وأن ينهاهم عَن المُنْكَر.

كَمَا يجب عَلَىٰ ولاة الأمور تنفيذ الحدود وإقامتها، وإقامة أمر الله، والدعوة إِلَىٰ الجهاد عند هجوم العدو، حتىٰ يقوم الناس ويردعوا الباطل، وإذا لم يقم هؤلاء فمن يقوم؟

فهؤلاء هم الأسوة وهم القادة، الأمير والعالم وشيخ القبيلة، وهكذا مَن في حكمهم في بعض البلاد، كعمدة القرية أو عمدة الحارة، فعَلَيْه من الواجب ما ليس عَلَىٰ غيره، لأنَّه أسند إليه أمر، فهو عنده نوع إمارة في محله، فعَلَيْه من الواجب ما ليس عَلَىٰ أفراد العامة. اهـ. [ابن باز].

الاخْتِلَافِ وَالفُرْقَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَأَمَّا المُنْكَرُ الَّذِي نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ فَأَعْظَمُهُ الشِّرْكُ بِاللهِ وَهُوَ أَنْ يَدْعُوَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ كَالشَّمْسِ وَالقَمَرِ وَالكَوَاكِبِ، أَوِ كَمَلَكٍ مِنَ المَلَائِكَةِ، أَوْ نَبِيٍّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، أَوْ رَجُلٍ مِنَ الصَّالِحِينَ، أَوْ أَحَدٍ مِنَ الجِنِّ، أَوْ تَمَاثِيلِ هَؤُلَاءِ أَوْ قُبُورِهِمْ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُدْعَىٰ مِنْ دُونِ اللهِ تَعَالَىٰ أَوْ يُسْتَغَاثُ بِهِ أَوْ يُسْجَدُ لَهُ، فَكُلُّ هَذَا وَأَشْبَاهُهُ مِنَ الشِّرْكِ الَّذِي حَرَّمَهُ اللهُ عَلَىٰ لِسَانِ جَمِيعِ رُسُلِهِ(١).

وَمِنَ المُنْكَرِ كُلُّ مَا حَرَّمَهُ اللهُ كَقَتْلِ النَّفْسِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَأَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالبَاطِلِ بِالغَصْبِ أَوْ بِالرِّبَا أَوِ المَيْسِرِ وَالبُيُوعِ وَالمُعَامَلَاتِ الَّتِي نَهَىٰ عَنْهَا

---

(١) وهَذَا هُوَ أعظم الذنوب وأعظم الجرائم، وهو الشرك بالله ﷻ، وهو الَّذِي قال فيه النبي ﷺ لما سأله ابن مسعود: أي الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك**» [أخرجه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٢٦٧)] متفق عليه، فأعظم الذنوب وأعظم الكبائر جنس الشرك، سواء كَانَ الشرك بالجمادات كالشمس والقمر والأصنام والأشجار، أو بغير الجمادات كالأنبياء والأولياء والجن، كُلُّ ذَلِكَ ممنوع وكله شرك أكبر.

فدعاؤهم والاستغاثة بهم والنذر لهم والصلاة لهم والسجود لهم والطواف بقبورهم تقربًا إليهم، إِلَىٰ غير هَذَا من أنواع العبادة؛ كله داخل فِي قوله جل وعلا: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨].

وفي قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣].

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وهَذِهِ البلية والمصيبة فشت فِي الناس من قرون طويلة، بسبب الجهل وتقليد الكفرة من اليهود والنصارىٰ وغيرهم، وقع هَذَا الأمر العظيم الخطير لقوله ﷺ: «**لتتبعن سنن من كَانَ قبلكم**» [أخرجه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٦٩٥٢)].

«**لتأخذن أمتي بأخذ الأمم قبلها شبرًا بشبر وذراعًا بذراع**» [أخرجه أحمد (١٤/ ١٥٣)، وصححه العلامة الألباني في «تخريج الطحاوية»] فلما كانت اليهود والنصارىٰ والمجوس وغيرهم يعبدون غير الله ويشركون به؛ تبعهم الناس إلا من عصم الله وحفظ، ولا حول ولا قوة إلا بالله. اهـ. [ابن باز].

رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَكَذَلِكَ قَطِيعَةُ الرَّحِمِ وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ وَتَطْفِيفُ المِكْيَالِ وَالمِيزَانِ وَالإِثْمُ وَالبَغْيُ، وَكَذَلِكَ العِبَادَاتُ المُبْتَدَعَةُ الَّتِي لَمْ يَشْرَعْهَا اللهُ وَرَسُولُهُ ﷺ وَغَيْرُ ذَلِكَ.

وَالرِّفْقُ سَبِيلُ الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ(١).

وَلِهَذَا قِيلَ: لِيَكُنْ أَمْرُكَ بِالمَعْرُوفِ بالمعروف وَنَهْيُكَ عَنِ المُنْكَرِ غَيْرَ مُنْكَرٍ(٢).

وَإِذَا كَانَ الأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ مِنْ أَعْظَمِ الوَاجِبَاتِ أَوِ المُسْتَحَبَّاتِ؛ فَالْوَاجِبَاتُ وَالمُسْتَحَبَّاتُ لَابُدَّ أَنْ تَكُونَ المَصْلَحَةُ فِيهَا رَاجِحَةً عَلَىٰ المَفْسَدَةِ؛ إِذْ بِهَذَا بُعِثَتِ الرُّسُلُ وَأُنْزِلَتِ الكُتُبُ، وَاللهُ لَا يُحِبُّ الفَسَادَ، بَلْ كُلُّ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ فَهُوَ صَلَاحٌ، وَقَدْ أَثْنَىٰ اللهُ عَلَىٰ الصَّلَاحِ وَالمُصْلِحِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَذَمَّ الفَسَادَ وَالمُفْسِدِينَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، فَحَيْثُ كَانَتْ مَفْسَدَةُ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ أَعْظَمَ مِنْ مَصْلَحَتِهِ لَمْ يَكُنْ مِمَّا أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ تَرَكَ وَاجِبًا وَفَعَلَ مُحَرَّمًا؛ إِذِ المُؤْمِنُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ فِي عِبَادِ اللهِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ هُدَاهُمْ، وَهَذَا مِنْ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾ [المائدة: ١٠٥].

---

(١) يعني: ليكن بالرفق. اهـ. [ابن باز].

(٢) س: الإلحاد أعظم من الشرك؟

ج: الإلحاد فيه تفصيل، الإلحاد قد يكون إلحادًا فِي معصية وقد يكون إلحادًا فِي كفر، فالإلحاد الَّذِي معناه إنكار الربوبية وإنكار وجود الله هَذَا كفر أكبر، أكبر من كفر المشركين كالشيوعيين وأشباههم، أما الإلحاد فِي بعض الأشياء الَّتِي دون الشرك، مثل تأويل بعض الجُمل عَلَىٰ غير تأويلها جهلًا منه، فِي بعض الصفات أو غيره، فهو أقل من ذاك.

والإلحاد: هُوَ الميل عَن الحق، قد يكون شركًا وقد يكون معصية. اهـ. [ابن باز].

وَالاهْتِدَاءُ إِنَّمَا يَتِمُّ بِأَدَاءِ الوَاجِبِ، فَإِذَا قَامَ المُسْلِمُ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ كَمَا قَامَ بِغَيْرِهِ مِنَ الوَاجِبَاتِ لَمْ يَضُرَّهُ ضَلَالُ الضَّالِّينَ، وَذَلِكَ يَكُونُ تَارَةً بِالقَلْبِ وَتَارَةً بِاللِّسَانِ وَتَارَةً بِاليَدِ.

فَأَمَّا القَلْبُ فَيَجِبُ بِكُلِّ حَالٍ؛ إِذْ لَا ضَرَرَ فِي فِعْلِهِ وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْهُ فَلَيْسَ هُوَ بِمُؤْمِنٍ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَذَلِكَ أَدْنَىٰ أَوْ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»(١) وَقَالَ: «لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»(٢).

وَقِيلَ لِابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ مَيِّتُ الأَحْيَاءِ؟ فَقَالَ: «الَّذِي لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا»(٣).

وَهَذَا هُوَ المَفْتُونُ المَوْصُوفُ بِأَنَّ قَلْبَهُ كَالكُوزِ مُجَخِّيًا فِي حَدِيثِ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»: «تُعْرَضُ الفِتَنُ عَلَىٰ القُلُوبِ عَرْضَ الحَصِيرِ...»(٤) الحَدِيثَ.

وَهُنَا يَغْلَطُ فَرِيقَانِ مِنَ النَّاسِ:

فَرِيقٌ: يَتْرُكَ مَا يَجِبُ مِنَ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ تَأْوِيلًا لِهَذِهِ الآيَةِ.

كَمَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خُطْبَتِهِ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وَإِنَّكُمْ تَضَعُونَهَا فِي

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٨).

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٩٦)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٨٧٣٤)، ولكن عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه مسلم (٣٨٦).

غَيْرَ مَوْضِعِهَا، وَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوا المُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ»(١).

وَالفَرِيقُ الثَّانِي: مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَأْمُرَ وَيَنْهَىٰ إِمَّا بِلِسَانِهِ وَإِمَّا بِيَدِهِ مُطْلَقًا مِنْ غَيْرِ فِقْهٍ وَلَا حُكْمٍ وَلَا صَبْرٍ وَلَا نَظَرٍ فِيمَا يَصْلُحُ مِنْ ذَلِكَ وَمَا لَا يَصْلُحُ وَمَا يُقْدَرُ عَلَيْه وَمَا لَا يُقْدَرُ.

كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي ثَعْلَبَةَ الخُشَنِيِّ: سَأَلْتُ عَنْهَا، أَي: الآيَةَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «بَلِ ائْتَمِرُوا بِالمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ المُنْكَرِ، حَتَّىٰ إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًىٰ مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، وَرَأَيْتَ أَمْرًا لَا يَدَانِ لَكَ بِهِ؛ فَعَلَيْكَ بِنَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ العَوَامِّ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكَ أَيَّامَ الصَّبْرِ الصَّبْرُ، فِيهِنَّ مِثْلُ قَبْضٍ عَلَىٰ الجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ كَأَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ»(٢).

فَيَأْتِي بِالأَمْرِ وَالنَّهْيِ مُعْتَقِدًا أَنَّهُ مُطِيعٌ فِي ذَلِكَ للهِ وَرَسُولِهِ وَهُوَ مُعْتَدٍ فِي حُدُودِهِ، كَمَا نَصَبَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ البِدَعِ وَالأَهْوَاءِ نَفْسَهُ لِلأَمْرِ وَالنَّهْيِ كَالخَوَارِجِ وَالمُعْتَزِلَةِ وَالرَّافِضَةِ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ غَلِطَ فِيمَا أَتَاهُ مِنَ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالجِهَادِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَكَانَ فَسَادُهُ أَعْظَمَ مِنْ صَلَاحِهِ(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (١٩٧٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٤١)، وضعفه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

(٣) والمقصود من هَذَا: أن الواجب فِي الأَمْر بالمَعْرُوف والنَّهْي عَن المُنْكَر الواجب التثبت فِي الأمور والنظر والتبصر، وأن يكون بأمره ونهيه عَلَىٰ بصيرة وعلىٰ علم، ولهَذَا قَالَ: الناس فِي هَذَا طائفتان، يعني: المخالفون للحق طائفتان، أما أهل البصيرة فهم الَّذِينَ امتثلوا أمر الرسول ﷺ، فأمروا بالمَعْرُوف ونهوا عَن المُنْكَر حسب الطاقة، باليد ثُمَّ اللسان ثُمَّ القلب، فلم يدعوا شيئًا من ذَلِكَ، بل حسب طاقتهم، فأقل شيء كراهة القلب لما حرّم الله وإنكار لما حرّم الله.

ولهَذَا لما قيل لابن مسعود رضي الله عنه: «هلكتُ إن لم آمر بالمَعْرُوف وأنه عَن المُنْكَر، قَالَ: «هلكتَ إن لم

=

تعرف المَعْرُوف وتنكر المُنْكَر»، فالمقصود أن الإنسان لَابُدَّ أن يعرف المَعْرُوف ويعرف المُنْكَر، ويكون عَلَىٰ بصيرة وعلىٰ بينة.

فطائفة أعرضوا ولم يبالوا ولم يلتفتوا إِلَىٰ ما أوجب الله عليهم، وطائفة لم يتبصروا وأمروا عَلَىٰ غير بصيرة، فربما وقع مِنْهُم من الفساد والضرر والعواقب الوخيمة ما لا يعلمه إلا الله، كَمَا جرىٰ للخوارج وغيرهم من أهل البدع، بزعمهم أَنَّهم يأمرون بالمَعْرُوف وأَنَّهم ينكرون المُنْكَر، فكفَّروا الناس وظلموا الناس وخرجوا عَلَىٰ الناس بالسلاح وخالفوا الشريعة.

فبعض الناس قد لا يكون عنده حكمة ولا عنده حلم ولا عنده بصيرة، فقد يؤتىٰ من جهله، وقد يؤتىٰ من عجلته، وقد يؤتىٰ من جهة سوئه، وقد يؤتىٰ من جهة عدم معرفة الحكم الشرعي فِي هَذِهِ المسألة، فيقع فيما يضر الناس ويسبب المشاكل.

فالواجب عَلَىٰ الآمر والناهي أن يتبصر، وأن يأمر فِي حدود الله، وأن يعمل بما تقتضيه الشريعة فِي إنكار المُنْكَر والأمْر بالمَعْرُوف عَلَىٰ حد كتاب الله وسنة رسوله، يعني: عَلَىٰ حد العلم والبصيرة والنظر فِي العواقب، ولهَذَا فِي حديث أبي ثعلبة الخشني يقول الرسول ﷺ: «**إذا رأيت شحًّا مطاعًا وهوىٰ متبعًا ودنيا مؤثرة وإعجاب كُلّ ذي رأي برأيه؛ فعليك بنفسك ودع عنك أمر العامة**» [أخرجه أحمد (٢/ ٢١٢)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٣)] وفي اللفظ الآخر: «**وأمر لا يدان لك به**» [أخرجه ابن ماجه (٤٠١٤)، وضعفه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن ابن ماجه»] يعني: لا طاقة لك به.

والصدِّيق رضي الله عنه بيَّن للناس معنىٰ قوله جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾ [المائدة: ١٠٥]، ظن بعض الناس أَنَّه إذا أعرض فإِنَّه لا شيء عَلَيْه إذا كَانَ مهتديًا، وهَذَا تأويل لها فِي غير تأويلها، ولهَذَا قَالَ إِنَّه سمع النَّبِيَّ ﷺ يقول: «**إن الناس إذا رأوا المُنْكَر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه**» [أخرجه أحمد (١/ ٢)، وصححه العلامة الألباني في شرح الطحاوية (ص٥٦٩)] فلا يكون مهتديًا إلا إذا أدىٰ الواجب، فإذا أدىٰ الواجبات وترك المحرمات فإِنَّه يكون مهتديًا.

ومن الواجب الأَمْر بالمَعْرُوف والنَّهْي عَن المُنْكَر، فإذا لم يتيسر ذَلِكَ وتغيرت الأحوال، وساد الناس الفوضىٰ وقلة العلم، ورأيت أمرًا لا يدان لك به، بل أمر يصعب عليك ولا تستطيعه فعليك بنفسك، ولا تتعاطىٰ شيئًا يسبب ما هُوَ أنكر لما فعلت.

ولهَذَا ذكر العلماء أن إنكار المُنْكَر له أحوال:

- تارة ينكره ويرجو أن يزول بالكلية لما عَرَف من الأسباب، ولا يعقبه شر منه ولا مثله، فهَذَا يجب إنكاره.

=

وَلِهَذَا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ جَوْرِ الأَئِمَّةِ وَنَهَىٰ عَنْ قِتَالِهِمْ مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَقَالَ: «أَدُّوا إِلَيْهِمْ حُقُوقَهُمْ وَسَلُوا اللهَ حُقُوقَكُمْ» وَقَدْ بَسَطْنَا القَوْلَ فِي ذَلِكَ فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ.

وَلِهَذَا كَانَ مِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ لُزُومُ الجَمَاعَةِ وَتَرْكُ قِتَالِ الأَئِمَّةِ وَتَرْكُ القِتَالِ فِي الفِتْنَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الأَهْوَاءِ كَالمُعْتَزِلَةِ فَيَرَوْنَ القِتَالَ لِلأَئِمَّةِ مِنْ أُصُولِ دِينِهِمْ.

وَيَجْعَلُ المُعْتَزِلَةُ أُصُولَ دِينِهِمْ خَمْسَةً: التَّوْحِيدُ الَّذِي هُوَ سَلْبُ الصِّفَاتِ، وَالعَدْلُ الَّذِي هُوَ التَّكْذِيبُ بِالقَدَرِ، وَالمَنْزِلَةُ بَيْنَ المَنْزِلَتَيْنِ، وَإِنْفَاذِ الوَعِيدِ، وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ الَّذِي فِيهِ قِتَالُ الأَئِمَّةِ، وَقَدْ تَكَلَّمْتُ عَلَىٰ قِتَالِ الأَئِمَّةِ فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ(١).

=

- وتارة يخشىٰ أن يقع مثله، يزول ولكن يقع مثله أو قريب منه، فهَذَا محل نظر ومحل اجتهاد، وفي إنكاره نظر حينئذٍ، ما دام يحل محله مثل أو قريب منه.

- وتارة يعرف ويعلم أَنَّه متىٰ أنكر هَذَا وقع ما هُوَ أكبر، فإنَّه يتجنب ذَلِكَ إِلَىٰ وقت آخر لئلا يقع ما هُوَ أكبر.

وفي هَذَا المعنىٰ ما حكي عَن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: أَنَّه مر مع جماعة من أصحابه عَلَىٰ قوم من التتر يشربون الخمر، فقَالَ بعض أصحابه: ننكر عليهم، قَالَ: لا، دعهم، فإنَّهم إن تركوا ذا قاموا يقتلون الناس، ويقتلون المسلمين، فقَالَ: دعهم مشغولين بما هم فيه لأن خمرهم أقل ضررًا من قتلهم المسلمين، لأنَّهم يقتلون ولا يبالون، لكفرهم وضلالهم وجهلهم. اهـ. [ابن باز].

(١) وهَذِهِ أصول المعتزلة الخبيثة، بدَّلوا أصول الإسلام الخمسة، الشهادتان والصلاة والصوم والحج والزكاة، فهَذِهِ أصولهم.

التوحيد: نفي الصفات من جهة الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

والعدل: نفي القدر وأَنَّه لا قدر، بزعمهم أن سبق القدر خلاف العدل.

والمنزلة بين المنزلتين: إخراج العاصي من الإيمان وعدم دخوله في الكفر، بينهما، ولكنه مخلد في النار.

=

وَجِمَاعُ ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي القَاعِدَةِ العَامَّةِ فِيمَا إِذَا تَعَارَضَتِ المَصَالِحُ وَالمَفَاسِدُ وَالحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ أَوْ تَزَاحَمَتْ، فَإِنَّهُ يَجِبُ تَرْجِيحُ الرَّاجِحِ مِنْهَا فِيمَا إِذَا ازْدَحَمَتِ المَصَالِحُ وَالمَفَاسِدُ وَتَعَارَضَتِ المَصَالِحُ وَالمَفَاسِدُ، فَإِنَّ الأَمْرَ وَالنَّهْيَ وَإِنْ كَانَ مُتَضَمِّنًا لِتَحصُّلِ مَصْلَحَةٍ وَدَفْعِ مَفْسَدَةٍ فَيُنْظَرُ فِي المُعَارِضِ لَهُ، فَإِنْ كَانَ الَّذِي يَفُوتُ مِنَ المَصَالِحِ أَوْ يَحْصُلُ مِنَ المَفَاسِدِ أَكْثَرَ لَمْ يَكُنْ مَأْمُورًا بِهِ بَلْ يَكُونُ مُحَرَّمًا إِذَا كَانَتْ مَفْسَدَتُهُ أَكْثَرَ مِنْ مَصْلَحَتِهِ.

لَكِنِ اعْتِبَارُ مَقَادِيرِ المَصَالِحِ وَالمَفَاسِدِ هُوَ بِمِيزَانِ الشَّرِيعَةِ، فَمَتَىٰ قَدَرَ الإِنْسَانُ

=

والخوارج جعلوه خارجًا من الإسلام بالكلية، وهم قالوا: فِي منزلة بين المنزلتين، أحدثوا هَذِهِ المنزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر ولكنه مخلد فِي النار، وهَذَا من جهلهم وضلالهم وعدم بصيرتهم.

الأصل الرابع: إنفاذ الوعيد: يعني أن العاصي مخلد فِي النار، ينفّذ فِيهِ الوعيد، لا كَمَا قاله أهل السنة والجماعة: أَنَّه تحت مشيئة الله، فالعاصي تحت المشيئة، كَمَا قَالَ الله سبحانه: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦] وهم قالوا: لا، بل العاصي مثل الكافر، ينفّذ فِيهِ الوعيد، وإن مات عَلَىٰ الزنا والخمر فهو مخلد فِي النار، ولا يُخرج من النار، كمن مات عَلَىٰ الشرك بالله، نسأل الله العافية.

والأصل الخامس عندهم: الأمْر بالمَعْرُوف والنَّهْي عَن المُنْكَر: لكن ليس كَمَا عند أهل السنة، بل المعنىٰ عندهم الخروج عَلَىٰ الأَئِمَّة إذا عصوا، الخروج عليهم وقتالهم ولو كانوا مسلمين ما دام ظهر مِنْهُم معصية، فيقاتلون.

وهَذَا الَّذِي نهىٰ عنه النَّبِيُّ ﷺ وشدَّد فِيهِ وأمر بلزوم الجماعة، وقَالَ: «**من رأىٰ من أميره معصية فليكره ما يأتيه من معصية الله ولا ينزعن يدًا من طاعة**» [أخرجه البخاري (٧٠٥٣)، ومسلم (٤٨٩٦)].

وقَالَ: «**لا تقاتلوهم ما أقاموا فيكم الصلاة إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فِيهِ برهان**» [أخرجه البخاري (٧٠٥٦)، ومسلم (٤٨٧٧)] فالمعتزلة والخوارج خالفوا هَذِهِ الأحاديث، وجعلوا من أصولهم الخروج عَلَىٰ الأَئِمَّة، وسموه الأمْر بالمَعْرُوف والنَّهْي عَن المُنْكَر، ولبَّسوا عَلَىٰ الناس.

ولهَذَا خرجوا عَلَىٰ علي، وقاتلوا عليًّا، بزعمهم أَنَّه عصىٰ لما حكَّم فِي الأمْر بينه وبين معاوية، والله المستعان. اهـ. [ابن باز].

عَلَىٰ اتِّبَاعِ النُّصُوصِ لَمْ يَعْدِلْ عَنْهَا، وَإِلَّا اجْتَهَدَ رَأْيَهُ لِمَعْرِفَةِ الأَشْبَاهُ وَالنَّظَائِرِ، وَقَلَّ أَنْ تُعْوِزَ النُّصُوصُ مَنْ يَكُونُ خَبِيرًا بِهَا وَبِدِلَالَتِهَا عَلَىٰ الأَحْكَامِ.

وَعَلَىٰ هَذَا؛ إِذَا كَانَ الشَّخْصُ أَوِ الطَّائِفَةُ جَامِعِينَ بَيْنَ مَعْرُوفٍ وَمُنْكَرٍ بِحَيْثُ لَا يُفَرَّقُونَ بَيْنَهُمَا، بَلْ إِمَّا أَنْ يَفْعَلُوهُمَا جَمِيعًا أَوْ يَتْرُكُوهُمَا جَمِيعًا، لَمْ يَجُزْ أَنْ يُؤْمَرُوا بِمَعْرُوفٍ وَلَا أَنْ يُنْهَوا عَنْ مُنْكَرٍ، بَلْ يُنْظَرُ؛ فَإِنْ كَانَ المَعْرُوفُ أَكْثَرَ أُمِرَ بِهِ، وَإِنِ اسْتَلْزَمَ مَا هُوَ دُونَهُ مِنَ المُنْكَرِ، وَلَمْ يُنْهَ عَنْ مُنْكَرٍ يَسْتَلْزِمُ تَفْوِيتَ مَعْرُوفٍ أَعْظَمَ مِنْهُ، بَلْ يَكُونُ النَّهْيُ حِينَئِذٍ مِنْ بَابِ الصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَالسَّعْيِ فِي زَوَالِ طَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ وَزَوَالِ فِعْلِ الحَسَنَاتِ.

وَإِنْ كَانَ المُنْكَرُ أَغْلَبَ نُهِيَ عَنْهُ وَإِنِ اسْتَلْزَمَ فَوَاتَ مَا هُوَ دُونَهُ مِنَ المَعْرُوفِ، وَيَكُونُ الأَمْرُ بِذَلِكَ المَعْرُوفِ المُسْتَلْزِمِ لِلمُنْكَرِ الزَّائِدِ عَلَيْهِ أَمْرًا بِمُنْكَرٍ وَسَعْيًا فِي مَعْصِيَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ.

وَإِنْ تَكَافَأَ المَعْرُوفُ وَالمُنْكَرُ المُتَلَازِمَانِ لَمْ يُؤْمَرْ بِهِمَا وَلَمْ يُنْهَ عَنْهُمَا، فَتَارَةً يَصْلُحُ الأَمْرُ، وَتَارَةً يَصْلُحُ النَّهْيُ، وَتَارَةً لَا يَصْلُحُ لَا أَمْرٌ وَلَا نَهْيٌ؛ حَيْثُ كَانَ المُنْكَرُ وَالمَعْرُوفُ مُتَلَازِمَيْنِ، وَذَلِكَ فِي الأُمُورِ المُعَيَّنَةِ الوَاقِعَةِ.

وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ النَّوْعِ: فَيُؤْمَرُ بِالمَعْرُوفِ مُطْلَقًا وَيُنْهَىٰ عَنِ المُنْكَرِ مُطْلَقًا، وَفِي الفَاعِلِ الوَاحِدِ وَالطَّائِفَةِ الوَاحِدَةِ يُؤْمَرُ بِمَعْرُوفِهَا وَيُنْهَىٰ عَنْ مُنْكَرِهَا وَيُحْمَدُ مَحْمُودُهَا وَيُذَمُّ مَذْمُومُهَا، بِحَيْثُ لَا يَتَضَمَّنُ الأَمْرُ بِمَعْرُوفٍ فَوَاتَ مَعْرُوفٍ أَكْبَرَ مِنْهُ أَوْ حُصُولَ مُنْكَرٍ فَوْقَهُ، وَلَا يَتَضَمَّنُ النَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ حُصُولَ مَا هُوَ أَنْكَرَ مِنْهُ أَوْ فَوَاتَ مَعْرُوفٍ أَرْجَحَ مِنْهُ.

وَإِذَا اشْتَبَهَ الأَمْرُ اسْتَثْبَتَ المُؤْمِنُ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُ الحَقُّ، فَلَا يُقْدِمُ عَلَىٰ الطَّاعَةِ إِلَّا بِعِلْمٍ وَنِيَّةٍ، وَإِذَا تَرَكَهَا كَانَ عَاصِيًا، فَتَرْكُ الأَمْرِ الوَاجِبِ مَعْصِيَةٌ وَفِعْلُ مَا نُهِيَ عَنْهُ مِنَ

الأَمْرِ مَعْصِيَةٌ، وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

وَمِنْ هَذَا البَابِ إِقْرَارُ النَّبِيِّ ﷺ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ وَأَمْثَالِهِ مِنْ أَئِمَّةِ النِّفَاقِ وَالفُجُورِ لِمَا لَهُمْ مِنَ الأَعْوَانِ، فَإِزَالَةُ مُنْكَرِهِ بِنَوْعٍ مِنْ عِقَابِهِ مُسْتَلْزِمَةٌ إِزَالَةَ مَعْرُوفٍ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ بِغَضَبِ قَوْمِهِ وَحَمِيَّتِهِمْ وَبِنُفُورِ النَّاسِ إِذَا سَمِعُوا أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ.

وَلِهَذَا؛ لَمَّا خَطَبَ النَّاسَ فِي قِصَّةِ الإِفْكِ بِمَا خَاطَبَهُمْ بِهِ وَاعْتَذَرَ مِنْهُ وَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ قَوْلَهُ الَّذِي أَحْسَنَ فِيهِ، حَمِيَ لَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ مَعَ حُسْنِ إِيمَانِهِ وَصِدْقِهِ وَتَعَصَّبَ لِكُلِّ مِنْهُمْ قَبِيلُهُ حَتَّىٰ كَادَتْ تَكُونَ فِتْنَةٌ.

وَأَصْلُ هَذَا: أَنْ تَكُونَ مَحَبَّةُ الإِنْسَانِ لِلمَعْرُوفِ وَبُغْضُهُ لِلمُنْكَرِ وَإِرَادَتُهُ لِهَذَا وَكَرَاهَتُهُ لِهَذَا مُوَافِقًا لِحُبِّ اللهِ وَبُغْضِهِ وَإِرَادَتِهِ وَكَرَاهَتِهِ الشَّرْعِيَّتَيْنِ، وَأَنْ يَكُونَ فِعْلُهُ لِلمَحْبُوبِ وَدَفْعُهُ لِلمَكْرُوهِ بِحَسَبِ قُوَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ، فَإِنَّ اللهَ لَا يُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَقَد قَالَ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

فَأَمَّا حُبُّ القَلْبِ وَبُغْضُهُ وَإِرَادَتُهُ وَكَرَاهَتُهُ فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ كَامِلَةً جَازِمَةً لَا يُوجِبُ نَقْصَ ذَلِكَ إِلَّا نَقْصُ الإِيمَانِ، وَأَمَّا فِعْلُ البَدَنِ فَهُوَ بِحَسَبِ قُدْرَتِهِ(١).

---

(١) والمعنىٰ فِي هَذَا. أن الواجب عَلَىٰ المؤمن أن يحب الله ورسوله ويحب ما شرعه محبة كاملة، وأن يكره ما نهىٰ الله عنه ورسوله كراهة كاملة، أمَّا التنفيذ فعلىٰ حسب قدرته ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ كونه يحب مثلًا أن يحج كُلَّ عام، لكن لا يلزمه ذَلِكَ، ولا يلزم من كمال المحبة أن يفعل ذَلِكَ، ولا يلزمه أيضًا أن يحج وهو غَيْر مستطيع، وإن كَانَ كامل المحبة لله ولرسوله، ولكن ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾.
كذَلِكَ الجهاد، كونه يحب الله ورسوله ويحب الجهاد، لكن لا يستطيع الجهاد ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾.
كذَلِكَ الأمور الأخرىٰ من إكرام والديه وجيرانه يتقي الله فِيهَا ما استطاع حسب طاقته، لكن قلبه مملوء بحب الله ورسوله وحب ما أحبه الله ورسوله ومن كراهة ما كرهه الله ورسوله، وهَذَا مقدور عليه، فما يتعلق بالقلب مقدور عليه، فأن يحب الله ورسوله محبة صادقة كاملة ومحبة طاعته، ويكره =

وَمَتَىٰ كَانَتْ إِرَادَةُ القَلْبِ وَكَرَاهَتُهُ كَامِلَةً تَامَّةً وَفِعْلُ العَبْدِ مَعَهَا بِحَسَبِ قُدْرَتِهِ، فَإِنَّهُ يُعْطَىٰ ثَوَابَ الفَاعِلِ الكَامِلِ، كَمَا قَدْ بَيَّنَّاهُ فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ.

فَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَكُونُ حُبُّهُ وَبُغْضُهُ وَإِرَادَتُهُ وَكَرَاهَتُهُ بِحَسَبِ مَحَبَّتِهِ نَفْسَهُ وَبُغْضِهَا لَا بِحَسَبِ مَحَبَّةِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَبُغْضِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَهَذَا مِنْ نَوْعِ الهَوَىٰ، فَإِنِ اتَّبَعَهُ الإِنْسَانُ فَقَدِ اتَّبَعَ هَوَاهُ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

فَإِنَّ أَصْلَ الهَوَىٰ هُوَ مَحَبَّةُ النَّفْسِ، وَيَتْبَعُ ذَلِكَ بُغْضُهَا وَالهَوَىٰ نَفْسُهُ وَهُوَ الحُبُّ وَالبُغْضُ الَّذِي فِي النَّفْسِ لَا يُلَامُ العَبْدُ عَلَيْهِ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَمْلِكُهُ، وَإِنَّمَا يُلَامُ عَلَىٰ اتِّبَاعِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**ثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ: خَشْيَةُ اللهِ فِي السِّرِّ وَالعَلَانِيَةِ، وَالقَصْدُ فِي الفَقْرِ وَالغِنَىٰ، وَكَلِمَةُ الحَقِّ فِي الغَضَبِ وَالرِّضَا، وَثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًىٰ مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ المَرْءِ بِنَفْسِهِ**»(١).

وَالحُبُّ وَالبُغْضُ يَتْبَعُهُ ذَوْقٌ عِنْدَ وُجُودِ المَحْبُوبِ وَالمُبْغَضِ، وَوَجْدٌ وَإِرَادَةٌ وَغَيْرُ ذَلِكَ، فَمَنِ اتَّبَعَ ذَلِكَ بِغَيْرِ أَمْرِ اللهِ وَرَسُولِهِ فَهُوَ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًىٰ

=

ما كرهه الله ورسوله كراهة كاملة، والتنفيذ عَلَىٰ حسب الطاقة ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾.

ولولي الأمْر النظر فِي أمور الناس، فإذَا كَانَ هناك من يُخشىٰ من سجنه أو قتله فتنة كبرىٰ وشر أعظم؛ أمهله، ولم يعجل بقتله ولا سجنه، لئلا تقع فتنة أكبر من قتله وسجنه، لأنَّه له أعوان وله أصحاب يغضبون له، كَمَا جرىٰ لعبد الله بن أبي بن سلول، فإن الرسول أمهله ولم يقتله مع ظهور نفاقه والدلائل عَلَىٰ نفاقه، لئلا يغضب له قومه فتقع فتنة. اهـ. [ابن باز].

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٤٥٢)، وحسنه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٣٩).

مِنَ اللهِ، بَلْ قَدْ يَتَمادَىٰ بِهِ الأَمْرُ إِلَىٰ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ.

وَاتِّبَاعُ الأَهْوَاءِ فِي الدِّيَانَاتِ أَعْظَمُ مِنِ اتِّبَاعِ الأَهْوَاءِ فِي الشَّهَوَاتِ، فَإِنَّ الأَوَّلَ حَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَالمُشْرِكِينَ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٥٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الروم: ٢٨، ٢٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١١٩].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة: ١٢٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي الآيَةِ الأُخْرَىٰ: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [البقرة: ١٤٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٩].

وَلِهَذَا؛ كَانَ مَنْ خَرَجَ عَنْ مُوجِبِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنَ المَنْسُوبِينَ إِلَىٰ العُلَمَاءِ وَالعُبَّادِ يُجْعَلُ مِنْ أَهْلِ الأَهْوَاءِ، كَمَا كَانَ السَّلَفُ يُسَمُّونَهُمْ أَهْلَ الأَهْوَاءِ، وَذَلِكَ أَنَّ

كُلَّ مَنْ لَمْ يَتَّبِعِ العِلْمَ فَقَدِ اتَّبَعَ هَوَاهُ، وَالعِلْمُ بِالدِّينِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِهَدْيِ اللهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ رَسُولَهُ ﷺ.

وَلِهَذَا؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي مَوْضِعٍ: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١١٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

فَالوَاجِبُ عَلَىٰ العَبْدِ أَنْ يَنْظُرَ فِي نَفْسِ حُبِّهِ وَبُغْضِهِ وَمِقْدَارُ حُبِّهِ وَبُغْضِهِ؛ هَلْ هُوَ مُوَافِقٌ لِأَمْرِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَهُوَ هُدَىٰ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ، بِحَيْثُ يَكُونُ مَأْمُورًا بِذَلِكَ الحُبِّ وَالبُغْضِ لَا يَكُونُ مُتَقَدِّمًا فِيهِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ، فَإِنَّهُ قَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١].

وَمَنْ أَحَبَّ أَوْ أَبْغَضَ قَبْلَ أَنْ يَأْمُرَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ فَفِيهِ نَوْعٌ مِنَ التَّقَدُّمِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ.

وَمُجَرَّدُ الحُبِّ وَالبُغْضِ هُوَ هَوًى، لَكِنَّ المُحَرَّمَ مِنْهُ اتِّبَاعُ حُبِّهِ وَبُغْضِهِ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ، وَلِهَذَا قَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ دَاوُدَ: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ﴾ [ص: ٢٦]، فَأَخْبَرَ أَنَّ مَنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ أَضَلَّهُ ذَلِكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، وَهُوَ هُدَاهُ الَّذِي بَعَثَ بِهِ رَسُولَهُ، وَهُوَ السَّبِيلُ إِلَيْهِ.

وَتَحْقِيقُ ذَلِكَ: أَنَّ الأَمْرَ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ هُوَ مِنْ أَوْجَبِ الأَعْمَالِ وَأَفْضَلِهَا وَأَحْسَنِهَا، وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

وَهُوَ كَمَا قَالَ الفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللهُ: «أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ، فَإِنَّ العَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ، وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ، حَتَّىٰ

يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا، وَالخَالِصُ: أَنْ يَكُونَ للهِ، وَالصَّوَابُ: أَنْ يَكُونَ عَلَىٰ السُّنَّةِ»(١).

فَالعَمَلُ الصَّالِحُ لَابُدَّ أَنْ يُرَادَ بِهِ وَجْهُ اللهِ تَعَالَىٰ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَا يَقْبَلُ مِنَ العَمَلِ إِلَّا مَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهُهُ وَحْدَهُ.

---

(١) وهَذِهِ الأمور الَّتِي ذكرها المؤلف هي أخطر شيء عَلَىٰ الناس فِي كُلِّ زمان وفي كُلِّ مكان، فإن الرجل قد يَكُون صالحًا، وَقَد يَكُون عنده خير وعلم، ولكن إِذَا خالف الواقعُ هواه تغيرت حاله، ولم ينضبط، وحرص عَلَىٰ أن يُتبع هواه وأن يمال إِلَىٰ هواه، إِلَّا من رحم الله.

فهَذِهِ أمور فِي النفس، هوىٰ النفس، إما أن يهواه هُوَ وكراهته لما يكرهه، وكثيرًا ما يقدمها الإنسان عَلَىٰ ما يريده الله ويحبه الله من أجل ضعف إيمانه وضعف بصيرته، فإِذَا أعانه الله ترك هواه وقمع نفسه، واتبع الحق وإن خالف هواه، وناصر الحق وإن خالف هواه؛ لأن عنده من الإيمان والتقوىٰ ما يحمله عَلَىٰ ذَلِكَ.

كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

بخلاف مثل قَالَ الله: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النازعات: ٣٧ - ٣٩] فالمؤثر للدنيا قد تابع هواه، لأن النفوس تميل إِلَىٰ الدنيا والشهوات، فإِذَا تابع ذَلِكَ ومال إِلَىٰ ذَلِكَ وأقره؛ صار ممن آثر الحياة الدنيا، وصار ممن اتبع الهوىٰ.

فإِذَا منعها من الربا، ومنعها من الغش، ومنعها من الخيانة، ومنعها من ظلم الناس بأنواع الظلم؛ صار هَذَا ممن خالف هواه ونهىٰ النفس عَن هواها، وإن كَانَ فِيهِ طمع له فِي ماله وفي الدنيا، لكن حبه لله ولرسوله وخوفه من الله؛ حمله عَلَىٰ أن يمنع نفسه من هَذَا الهوىٰ، وأن يُلزمها بالحد فِي كُلِّ شيء. اهـ.

س: كيف يَكُون الشح مطاعًا؟

ج: من طبيعة النفس الشح، فمن طبيعتها الشح والحرص عَلَىٰ المال، فالشح الحرص، فإن أطعته هلكت، فإنك إِذَا أطعت الشح طلبت المال من كُلِّ طريق، من الربا والخيانة والسرقة وغيرها، لأن الشح الحرص عَلَىٰ المال، ثُمَّ المنع، شحيح منوع، يطلبه بغَيْر حله، ويمنعه من وجهه، فإِذَا أطاع شحه منع الواجب، وأخذ المال من غَيْر حله، وإِذَا لم يطع الشح وقف عند الحد الشرعي وخالف هواه، فلم يقبل من المال إِلَّا ما كَانَ حلالًا، ولم يطع نفسه فِي هواها فِي منع الواجب، بل يخرج الصدقة والزكاة، وينفق عَلَىٰ من تحت يده، ويكرم الضيف، وينفق فِي وجوه الخير مخالفًا لهواه والشح. اهـ. [ابن باز].

كَمَا فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ؛ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ وَهُوَ كُلُّهُ لِلَّذِي أَشْرَكَ»(١).

وَهَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الإِسْلَامِ، وَهُوَ دِينُ اللهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ جَمِيعَ رُسُلِهِ وَلَهُ خَلَقَ الخَلْقَ، وَهُوَ حَقُّهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَلَابُدَّ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ العَمَلُ صَالِحًا وَهُوَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ وَهُوَ الطَّاعَةُ، فَكُلُّ طَاعَةٍ عَمَلٌ صَالِحٌ، وَكُلُّ عَمَلٍ صَالِحٍ طَاعَةٌ، وَهُوَ العَمَلُ المَشْرُوعُ المَسْنُونُ؛ إِذِ المَشْرُوعُ المَسْنُونُ هُوَ المَأْمُورُ بِهِ أَمْرَ إِيجَابٍ أَوِ اسْتِحْبَابٍ، وَهُوَ العَمَلُ الصَّالِحُ وَهُوَ الحَسَنُ وَهُوَ البِرُّ وَهُوَ الخَيْرُ، وَضِدُّهُ المَعْصِيَةُ وَالعَمَلُ الفَاسِدُ وَالسَّيِّئَةُ وَالفُجُورُ وَالشَّرُّ وَالظُّلْمُ وَالبَغْيُ.

وَلَمَّا كَانَ العَمَلُ لَابُدَّ فِيهِ مِنْ شَيْئَيْنِ: النِّيَّةُ وَالحَرَكَةُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَصْدَقُ الأَسْمَاءِ حَارِثٌ وَهَمَّامٌ»(٢) فَكُلُّ أَحَدٍ حَارِثٌ وَهَمَّامٌ؛ لَهُ عَمَلٌ وَنِيَّةٌ.

لَكِنَّ النِّيَّةَ المَحْمُودَةَ الَّتِي يَتَقَبَّلُهَا اللهُ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا هِيَ أَنْ يُرَادَ اللهُ وَحْدَهُ بِذَلِكَ العَمَلِ، وَالعَمَلُ المَحْمُودُ هُوَ الصَّالِحُ وَهُوَ المَأْمُورُ بِهِ.

وَلِهَذَا كَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ عَمَلِي كُلَّهُ صَالِحًا، وَاجْعَلْهُ لِوَجْهِكَ خَالِصًا، وَلَا تَجْعَلْ لِأَحَدٍ فِيهِ شَيْئًا»(٣)(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٧٦٦٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٥٠)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

(٣) أخرجه أحمد في «الزهد» (٦١٣).

(٤) العمل الصالح عند الإطلاق هُوَ الَّذِي صدر من المسلم قد اشتمل عَلَىٰ أمرين: الإخلاص، والموافقة للشريعة، هَذَا هُوَ العمل الصالح، فإن فقد الإخلاص صار شركًا، وإن فقد المتابعة صار بدعة، فلا يتم =

وإِذَا كَانَ هَذَا حَدَّ كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ؛ فَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ، هَذَا فِي حَقِّ الآمِرِ النَّاهِي بِنَفْسِهِ، وَلَا يَكُونُ عَمَلُهُ صَالِحًا إِنْ لَمْ يَكُنْ بِعِلْمٍ وَفِقْهٍ.

كَمَا قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ: «مَنْ عَبَدَ اللهَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ مَا يُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ»(١).

وَكَمَا فِي حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «العِلْمُ إِمَامُ العَمَلِ وَالعَمَلُ تَابِعُهُ».

وَهَذَا ظَاهِرٌ، فَإِنَّ القَصْدَ وَالعَمَلَ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِعِلْمٍ كَانَ جَهْلًا وَضَلَالًا وَاتِّبَاعًا لِلْهَوَىٰ كَمَا تَقَدَّمَ، وَهَذَا هُوَ الفَرْقُ بَيْنَ أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ وَأَهْلِ الإِسْلَامِ، فَلَابُدَّ مِنَ العِلْمِ بِالمَعْرُوفِ وَالمُنْكَرِ وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَهُمَا، وَلَابُدَّ مِنَ العِلْمِ بِحَالِ المَأْمُورِ وَحَالِ المَنْهِيِّ، وَمِنَ الصَّلَاحِ أَنْ يَأْتِيَ بِالأَمْرِ وَالنَّهْيِ عَلَىٰ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ، وَهُوَ أَقْرَبُ الطُّرُقِ إِلَىٰ

=

أن يَكُون عمله صالحًا إِلَّا بإخلاصه لله، وبمتابعته للشريعة وموافقته لها، ولهَذَا كَانَ من دعاء عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّه كَانَ يقول: «**اللهم اجعل عملي كله صالحًا، واجعله لوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فِيهِ شيئًا**».

ويقول سبحانه فِي كتابه العظيم: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ يعني موافقًا للشريعة ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠]. اهـ. [ابن باز].

(١) وهَذَا الكلام من عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ أن من تعبد بغَيْر علم كَانَ ما يفسده أكثر مِمَّا يصلحه، فلَابُدَّ من علم فِي العبادات وفقه، ومن ذَلِكَ الأَمْر بالمَعْرُوف والنَّهْي عَن المُنْكَر؛ لأَنَّه عمل صالح وعمل عظيم، فلَا بُدَّ فِيهِ من علم وبصيرة، حَتَّىٰ لا يأمر بمنكر، وحَتَّىٰ لا ينهىٰ عَن معروف، ولَا بُدَّ فِيهِ من الإخلاص لله، فلَا بُدَّ فِيهِ من الأمرين: إخلاص لله، وموافقة للشريعة فِي أمره ونهيه، حَتَّىٰ لا يفسد أكثر مِمَّا يصلح.

وهَذَا المقام مقام عظيم خطير، يجب ألا يتولاه إِلَّا أهل البصيرة والعلم والحلم والرفق، حَتَّىٰ يحصل بذَلِكَ من الخير العظيم ما لا يحصيه إِلَّا الله عَزَّوَجَلَّ، فإِذَا دخله الرياء، أو دخله الجهل أو العجلة والعنف؛ صار بذَلِكَ شرًّا عظيمًا. اهـ. [ابن باز].

حُصُولِ المَقْصُودِ.

وَلَابُدَّ فِي ذَلِكَ مِنَ الرِّفْقِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا كَانَ الرِّفْقُ فِي شَيءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا كَانَ العُنْفُ فِي شَيءٍ إِلَّا شَانَهُ»(١).

وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ»(٢).

وَقَالَ: «إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَيْهِ مَا لَا يُعْطِي عَلَىٰ العُنْفِ»(٣)(٤).

وَلَابُدَّ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ حَلِيمًا صَبُورًا عَلَىٰ الأَذَىٰ، فَلَابُدَّ أَنْ يَحْصُلَ لَهُ أَذًىٰ، فَإِنْ لَمْ يَحْلِمْ وَيَصْبِرْ كَانَ مَا يُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ(٥).

كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ

---

(١) أخرجه مسلم (٦٧٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٢٤)، ومسلم (٥٧٨٤).

(٣) أخرجه مسلم (٦٧٦٦).

(٤) وفي رواية: «من يحرم الرفق يحرم الخير كله» [أخرجه أبو داود (٤٨٠٩)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود»] نسأل الله السلامة، فالأمْر عظيم ولَا بُدَّ من الرفق. وفي صحيح مسلم عَن النَّبِيّ ﷺ من حديث عائشة رضي الله عنها أَنَّه قَالَ عَلَيْه الصلاة والسلام: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به، اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه»، ولا حول ولا قوة إِلَّا بالله. اهـ [ابن باز].

(٥) لَابُدَّ أن يَكُون فِي الآمر والناهي والداعي لَابُدَّ من حلم وصبر، مع الرفق والعلم لَابُدَّ من حلم وصبر، لأَنَّه لَابُدَّ أن يؤذىٰ، ولَابُدَّ أن يحصل له ما يوجب الغضب، فلَابُدَّ من حلم حَتَّىٰ لا يبطش ويتكلم بما لا ينبغي، ولَابُدَّ من صبر عَلَىٰ الأذىٰ، هكذا أُمر المؤمنون، كَمَا قَالَ لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان: ١٧].
وقَالَ جل وعلا: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [آل عمران: ١٨٦]. اهـ. [ابن باز].

ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان: ١٧]. وَلِهَذَا أَمَرَ اللهُ الرُّسُلَ وَهُمْ أَئِمَّةُ الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ بِالصَّبْرِ كَقَوْلِهِ لِخَاتَمِ الرُّسُلِ ﷺ، بَلْ ذَلِكَ مَقْرُونٌ بِتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ، فَإِنَّهُ أَوَّلَ مَا أُرْسِلَ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾﴾ بَعْدَ أَنْ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ اقْرَأْ الَّتِي بِهَا نُبِّئَ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾﴾ [المدثر: ١ - ٧](١).

فَافْتَتَحَ آيَاتِ الإِرْسَالِ إِلَىٰ الخَلْقِ بِالأَمْرِ بِالإِنْذَارِ وَخَتَمَهَا بِالأَمْرِ بِالصَّبْرِ، وَنَفْسُ الإِنْذَارِ أَمْرٌ بِالمَعْرُوفِ وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ، فَعُلِمَ أَنَّهُ يَجِبُ بَعْدَ ذَلِكَ الصَّبْرُ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾ [المزمل: ١٠].

وَقَالَ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وَقَالَ: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨].

وَقَالَ: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧].

وَقَالَ: ﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [هود: ١١٥].

فَلَابُدَّ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ: العِلْمُ وَالرِّفْقُ وَالصَّبْرُ.

العِلْمُ قَبْلَ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَالرِّفْقُ مَعَهُ، وَالصَّبْرُ بَعْدَهُ، وَإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنَ الثَّلَاثَةِ لَابُدَّ أَنْ يَكُونَ مُسْتَصْحَبًا فِي هَذِهِ الأَحْوَالِ. وَهَذَا كَمَا جَاءَ فِي الأَثَرِ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ

---

(١) هَذِهِ أول سورة بعد ﴿ٱقْرَأْ﴾ أرسل بها، قَالَ الله فيها: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾﴾ [المدثر: ٧] لأنَّه يعلم سبحانه أنَّه لَا بُدَّ أن يحصل أذىٰ لمن قام يدعو الناس إِلَىٰ خلاف أهوائهم وإِلَىٰ خلاف عاداتهم، والله المستعان. اهـ. [ابن باز].

وَرَوَوْهُ مَرْفُوعًا ذَكَرَهُ القَاضِي أَبُو يَعْلَىٰ فِي «المُعْتَمَدِ»: «لَا يَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰ عَنِ المُنْكَرِ إِلَّا مَنْ كَانَ فَقِيهًا فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ فَقِيهًا فِيمَا يَنْهَىٰ عَنْهُ، رَفِيقًا فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ رَفِيقًا فِيمَا يَنْهَىٰ عَنْهُ، حَلِيمًا فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ حَلِيمًا فِيمَا يَنْهَىٰ عَنْهُ»(١).

وَلْيُعْلَمْ أَنَّ اشْتِرَاطَ هَذِهِ الخِصَالِ فِي الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ مِمَّا يُوجِبُ صُعُوبَتَهُ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنَ النُّفُوسِ، فَيَظُنُّ أَنَّهُ بِذَلِكَ يَسْقُطُ عَنْهُ فَيَدَعُهُ وَذَلِكَ قَدْ يَضُرُّهُ أَكْثَرَ مِمَّا يَضُرُّهُ الأَمْرُ بِدُونِ هَذِهِ الخِصَالِ أَوْ أَقَلَّ، فَإِنَّ تَرْكَ الأَمْرِ الوَاجِبِ مَعْصِيَةٌ، وَفِعْلَ مَا نَهَىٰ عَنْهُ فِي الأَمْرِ مَعْصِيَةٌ، فَالمُنْتَقِلُ مِنْ مَعْصِيَةٍ إِلَىٰ مَعْصِيَةٍ أَكْبَرَ مِنْهَا كَالمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ(٢).

وَالمُنْتَقِلُ مِنْ مَعْصِيَةٍ إِلَىٰ مَعْصِيَةٍ كَالمُتَنَقِلِ مِنْ دِينٍ بَاطِلٍ إِلَىٰ دِينٍ بَاطِلٍ، قَدْ يَكُونُ الثَّانِي شَرًّا مِنَ الأَوَّلِ، وَقَد يَكُونُ دُونَهُ وَقَدْ يَكُونَانِ سَوَاءً، فَهَكَذَا تَجِدُ المُقَصِّرَ

---

(١) الحلم جزء من الصبر، ذكر الحلم وذكر الصبر فِي المعنىٰ متقارب؛ لأن الحليم هُوَ الصبور والصبور هُوَ الحليم، من حلمه صبر، وفي الحديث الصحيح فِي وفد عبد القيس كَانَ فيهم شخص يقَالَ له الأشج، فقَالَ له النَّبِيّ ﷺ: «إن فيك خصلتين يحبهما الله» قَالَ: ما هما يا رسول الله؟ قَالَ: «الحلم والأناة» قَالَ الرجل: يا رسول الله، تخلقت بهما أو جبلت عليهما؟ قَالَ: «بل جبلت عليهما» قَالَ: الحمد لله الَّذِي جبلني عَلَىٰ خلقين يحبهما الله ورسوله [أخرجه مسلم (١٢٧)]. اهـ. [ابن باز].

(٢) والمعنىٰ فِي هَذَا أن الأمْر مهم وعظيم، فيقول: إن بعض الناس قد يصعب عَلَيْه الأمْر فيترك الأمْر والنهي، ويقول: أنا لا أقوىٰ عَلَىٰ الصبر، وأنا لا أقوىٰ علىٰ الرفق، أنا... أنا...، وهَذِهِ مصيبة، قد تَكُون أشد من كونه يغلط فِي الأمْر والنهي، فلَابُدَّ من تحمل، ولَابُدَّ من جهاد وصبر وتحمل، حَتَّىٰ يأمر وينهىٰ، فإن الناس إِذَا تركوا الأمْر والنَّهْي معناه جاء الفساد وعم البلاء، فلَابُدَّ من جهاد نفس، حَتَّىٰ يقوم بالواجب، وحَتَّىٰ يصبر وحَتَّىٰ يرفق، ولا يَكُون عذرًا له أن يقول إني أخاف ألا أرفق، أخاف أخاف، لا، بل هَذَا من الشيطان ومن تثبيط الشيطان، ولكن عَلَيْه أن يجاهد وعَلَيْه أن يتقي الله، ويأمر بالمَعْرُوف وينهىٰ عَن المُنْكَر إِذَا كَانَ عنده علم، فعَلَيْه أن يأمر وينهىٰ، ويجاهد نفسه فِي الرفق والتحمل والصبر، ولا يقول: أنا لا أستطيع ثم يهمل الأمْر ويدع الحبل عَلَىٰ الغارب.

فهَذَا بحث جيد وبحث نفيس وبحث عظيم، رحمه الله وضاعف مثوبة الجميع. اهـ. [ابن باز].

فِي الأَمْرِ والنَّهْيِ وَالمُعْتَدِي فِيهِ قَدْ يَكُونُ ذَنْبُ هَذَا أَعْظَمَ، وَقَدْ يَكُونُ ذَنْبُ ذَاكَ أَعْظَمَ، وَقَدْ يَكُونَانِ سَوَاءً.

وَمِنَ المَعْلُومِ بِمَا أَرَانَا اللهُ مِنْ آيَاتِهِ فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِنَا وَبِمَا شَهِدَ بِهِ فِي كِتَابِهِ أَنَّ المَعَاصِي سَبَبُ المَصَائِبِ، فَسَيِّئَاتُ المَصَائِبِ وَالجَزَاءِ هِيَ مِنْ سَيِّئَاتِ الأَعْمَالِ، وَأَنَّ الطَّاعَةَ سَبَبُ النِّعْمَةِ، فَإِحْسَانُ العَبْدِ العَمَلَ سَبَبٌ لِإِحْسَانِ الله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورىٰ: ٣٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

وَقَالَ: ﴿ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الشورىٰ: ٣٤].

وَقَالَ: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الشورىٰ: ٤٨]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٣] (١).

---

(١) وهَذَا يوجب للمؤمن أنّ ما ينزل به من المصائب والكوارث بأسباب أعماله السيئة وتقصيره في أمر الله وعدم قيامه بما أوجب الله من طاعة وأخذ بالأسباب، فتصيبه المصائب بهذا، ولهَذَا يقول جل وعلا: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورىٰ: ٣٠]
=

وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِمَا عَاقَبَ بِهِ أَهْلَ السَّيِّئَاتِ مِنَ الأُمَمِ كَقَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ لُوطٍ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَقَوْمِ فِرْعَوْنَ فِي الدُّنْيَا وَأَخْبَرَ بِمَا سَيُعَاقِبُهُمْ بِهِ فِي الآخِرَةِ.

=

فالمصائب هي أسباب ناتجة عَن المعائب وعن الشرور، كما أن الخيرات والنعم ناتجة عَن الحسنات والأعمال الصالحات، كَمَا يجود الله به فوق ذَلِكَ ﷻ.

ومن الأمور العظيمة الَّتِي يجب التنبه لها؛ أن المصائب قد تصيب الأخيار، وَقَد تصيب الرسل، وهم أفضل الناس بسبب الخلل الَّذِي يقع من بعض أتباعهم، فلو كَانَ أحد يسلم من العقوبات لسلم الأنبياء والأخيار.

يوم أحد، وما الَّذِي جرىٰ فِي يوم أحد؟ ويوم أحد من الَّذِي فيه؟

النَّبِيُّ ﷺ أفضل الخلق، والصحابة أفضل الخلق بعد الأنبياء، وماذا أصابهم؟

حصلت هزيمة، وقتل جماعة نحو السبعين، وجراحات كثيرة، ومصيبة عظيمة، لإخلال الرماة ومعصية الرماة، وَقَد أمروا أن يمسكوا الثغر، ولو رأوا المسلمين قد انتصروا لا يتعدون الثغر، فلما رأوا الهزيمة عَلَىٰ الكفار ظنوا أَنَّها الفيصلة، وأخلوا بالموقف ودخل الكفار عَلَىٰ المسلمين وصارت الكارثة بأسباب هؤلاء.

ولهَذَا؛ قَالَ جل وعلا: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ يعني: يوم بدر ﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾ يعني: من أين أصبنا؟ ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥] يعني: من جنس ما فعلتم، يعني: فعله هؤلاء الجماعة.

ويقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ١٥٢] يعني: عوقبتم، فالجواب محذوف.

فبسبب الرماة وتنازعهم وإخلالهم بالموقف وعصيانهم سبَّب عَلَىٰ المسلمين كارثة.

فلو أن أحدًا يسلم من عقوبات الذنوب والخلل بالواجب وإعطاء الكفار الفرصة، لو كَانَ أحد يسلم لسلم الرسول ﷺ وأصحابه.

وهَذَا يفيد المؤمنين الحذر، وألا يغتروا بأَنَّهم مؤمنون، ولا يقولوا أن الله معنا وفقط، لا، بل هُوَ معكم إِذَا استقمتم، وهو مع المؤمنين إِذَا استقاموا وأدوا الواجب، واجتهدوا فِي الخير، وصبروا وصابروا، أَمَّا إِذَا فرَّطوا أو فرَّط بعضهم، فعليهم الخطر. اهـ. [ابن باز].

وَلِهَذَا قَالَ مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ [غافر: ٣٠ - ٣٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ [القلم: ٣٣].

وَقَالَ: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة: ١٠١].

وَقَالَ: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [السجدة: ٢١].

وَقَالَ: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الدخان: ١٠- ١٦].

وَلِهَذَا؛ يَذْكُرُ اللهُ فِي عَامَّةِ سُوَرِ الإِنْذَارِ مَا عَاقَبَ بِهِ أَهْلَ السَّيِّئَاتِ فِي الدُّنْيَا وَمَا أَعَدَّهُ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ، وَقَدْ يَذْكُرُ فِي السُّورَةِ وَعْدَ الآخِرَةِ فَقَطْ؛ إِذْ عَذَابُ الآخِرَةِ أَعْظَمُ وَثَوَابُهَا أعظم وَهِيَ دَارُ القَرَارِ، وَإِنَّمَا يَذْكُرُ مَا يَذْكُرُهُ مِنَ الثَّوَابِ وَالعِقَابِ فِي الدُّنْيَا تَبَعًا، كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِي قِصَّةِ يُوسُفَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [يوسف: ٥٦، ٥٧].

وَقَالَ: ﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤٨].

وَقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾

[النحل: ٤١، ٤٢].

وَقَالَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [العنكبوت: ٢٧].

وَأَمَّا ذِكْرُهُ تَعَالَىٰ لِعُقُوبَةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَفِي مِثْلِ: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾﴾ [النازعات: ١، ٢] ثُمَّ قَالَ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾﴾ [النازعات: ٦، ٧]، فَذَكَرَ القِيَامَةَ مُطْلَقًا.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النازعات: ١٥ - ٢٦].

ثُمَّ ذَكَرَ المَبْدَأَ وَالمَعَادَ مُفَصَّلًا فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٢٧ - ٤١] إِلَىٰ آخِرِ السُّورَةِ.

وَكَذَلِكَ فِي المُزَّمِّلِ ذَكَرَ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾﴾، إِلَىٰ قَوْلِهِ ﴿فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [المزمل: ١١ - ١٦].

وَكَذَلِكَ فِي سُورَةِ الحَاقَّةِ، ذَكَرَ قَصَصَ الأُمَمِ؛ كَثَمُودَ، وَعَادٍ، وَفِرْعَوْنَ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾﴾ [الحاقة: ١٣ - ١٥] إِلَىٰ تَمَامِ مَا ذَكَرَهُ مِنْ أَمْرِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ.

وَكَذَلِكَ فِي سُورَةِ ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ﴾ ذَكَرَ قِصَّةَ أَهْلِ البُسْتَانِ الَّذِينَ مَنَعُوا حَقَّ أَمْوَالِهِمْ وَمَا عَاقَبَهُمْ بِهِ ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [القلم: ٣٣].

وَكَذَلِكَ فِي سُورَةِ التَّغَابُنِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟

وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾﴾ [التغابن: ٥، ٦] ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧] وَكَذَلِكَ فِي سُورَة (ق) فِي ذِكْرِ حَالِ المُخَالِفِينَ لِلرُّسُلِ وَذِكْرِ الوَعْدِ وَالوَعِيدِ فِي الآخِرَةِ.

وَكَذَلِكَ فِي سُورَةِ القَمَرِ ذَكَرَ هَذَا وَهَذَا، وَكَذَلِكَ فِي «أَل حم» مِثْلَ: حم غَافِر وَالسَّجْدَةِ وَالزُّخْرُفِ وَالدُّخَانِ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُحْصَىٰ، فَإِنَّ التَّوْحِيدَ وَالوَعْدَ وَالوَعِيدَ مِنْ أَوَّلِ مَا أُنْزِلَ.

كَمَا فِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ» عَنْ يُوسُفَ بْنِ مَاهَكَ قَالَ: «إِنِّي عِنْدَ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ رضي الله عنها إِذْ جَاءَهَا عِرَاقِيٌّ فَقَالَ: أَيُّ الكَفَنِ خَيْرٌ؟ قَالَتْ: وَيْحَكَ وَمَا يَضُرُّكَ؟ قَالَ: يَا أُمَّ المُؤْمِنِينَ، أَرِينِي مُصْحَفَكِ قَالَتْ: لِمَ؟ قَالَ: لَعَلِّي أُؤَلِّفُ القُرْآنَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يُقْرَأُ غَيْرَ مُؤَلَّفٍ قَالَتْ: وَمَا يَضُرُّكَ أَيَّةً قَرَأْتَ قَبْلُ؟ إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ المُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ حَتَّىٰ إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَىٰ الإِسْلَامِ نَزَلَ الحَلَالُ وَالحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيءٍ لَا تَشْرَبُوا الخَمْرَ لَقَالُوا لَا نَدَعِ الخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ لَا تَزْنُوا لَقَالُوا لَا نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا؛ لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ [القمر: ٤٦]، وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ قَالَ: فَأَخْرَجَتْ لَهُ المُصْحَفَ فَأَمْلَتْ عَلَيْهِ آيَ السُّوَرِ»(١).

وَإِذَا كَانَ الكُفْرُ وَالفُسُوقُ وَالعِصْيَانُ سَبَبَ الشَّرِّ وَالعُدْوَانِ فَقَدْ يُذْنِبُ الرَّجُلُ أَوِ الطَّائِفَةُ وَيَسْكُتُ آخَرُونَ عَنِ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ فَيَكُونُ ذَلِكَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَيُنْكِرُ عَلَيْهِمْ آخَرُونَ إِنْكَارًا مَنْهِيًّا عَنْهُ فَيَكُونُ ذَلِكَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ فَيَحْصُلُ التَّفَرُّقُ وَالاخْتِلَافُ وَالشَّرُّ،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٩٣).

وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الفِتَنِ وَالشُّرُورِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا(١).

إِذِ الإِنْسَانُ ظَلُومٌ جَهُولٌ، وَالظُّلْمُ وَالجَهْلُ أَنْوَاعٌ، فَيَكُونُ ظُلْمُ الأَوَّلِ وَجَهْلُهُ مِنْ نَوْعٍ، وَظُلْمُ كُلٍّ مِنَ الثَّانِي وَالثَّالِثِ وَجَهْلُهُمَا مِنْ نَوْعٍ آخَرَ وَآخَرَ.

وَمَنْ تَدَبَّرَ الفِتَنَ الوَاقِعَةَ رَأَىٰ سَبَبَهَا ذَلِكَ، وَرَأَىٰ أَنَّ مَا وَقَعَ بَيْنَ أُمَرَاءِ الأُمَّةِ وَعُلَمَائِهَا وَمَنْ دَخَلَ فِي ذَلِكَ مِنْ مُلُوكِهَا وَمَشَايِخِهَا وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ العَامَّةِ مِنَ الفِتَنِ هَذَا أَصْلُهَا. يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ أَسْبَابُ الضَّلَالِ وَالغَيِّ الَّتِي هِيَ الأَهْوَاءُ الدِّينِيَّةُ وَالشَّهْوَانِيَّةُ وَهِيَ البِدَعُ فِي الدِّينِ وَالفُجُورُ فِي الدُّنْيَا.

وَذَلِكَ أَنَّ أَسْبَابَ الضَّلَالِ وَالغَيِّ الَّتِي هِيَ البِدَعُ فِي الدِّينِ وَالفُجُورُ فِي الدُّنْيَا مُشْتَرَكَةٌ تَعُمُّ بَنِي آدَمَ لِمَا فِيهِمْ مِنَ الظُّلْمِ وَالجَهْلِ، فَبِذَنْبِ بَعْضِ النَّاسِ يَظْلِمُ نَفْسَهُ وَغَيْرَهُ بِفِعْلِ الزِّنَا أَوِ التَّلَوُّطِ أَوْ غَيْرِهِ أَوْ بِشُرْبِ خَمْرٍ أَوْ ظُلْمٍ فِي المَالِ بِجِنَايَةٍ أَوْ سَرِقَةٍ أَوْ غَصْبٍ وَنَحْوَ ذَلِكَ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذِهِ المَعَاصِي وَإِنْ كَانَتْ مُسْتَقْبَحَةً مَذْمُومَةً فِي العَقْلِ وَالدِّينِ فَهِيَ مُشْتَهَاةٌ فِي الطِّبَاعِ أَيْضًا، وَمِنْ شَأْنِ النُّفُوسِ أَنَّها لَا تُحِبُّ اخْتِصَاصَ غَيرِهَا بِشَيءٍ وَزِيَادَتَهُ عَلَيْهَا، لَكِنْ تُرِيدُ أَنْ يَحْصُلَ لَها مَا حَصَلَ لَهُ، وَهَذَا هُوَ الغِبْطَةُ الَّتِي هِيَ أَدْنَىٰ نَوْعَيِ الحَسَدِ، فَهِيَ تُرِيدُ الِاسْتِعْلَاءَ عَلَىٰ الغَيْرِ وَالاسْتِئْثَارَ دُونَهُ، أَوْ تَحْسُدُهُ وَتَتَمَنَّىٰ زَوَالَ النِّعْمَةِ عَنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَحْصُلْ فَفِيهَا مِنْ إِرَادَةِ العُلُوِّ وَالفَسَادِ وَالاسْتِكْبَارِ وَالحَسَدِ

---

(١) وهَذَا واقع يقع كثيرًا، إما السكوت عَن المُنْكَر، وإما الإنكار عَلَىٰ طريقة غَيْر شرعية، فيحصل التفرق والاختلاف والنزاع.

أَمَّا إِذَا أنكر المُنْكَر بالطريقة المتبعة، بالطريقة الإسلامية حسب الطاقة، وبالأساليب الحسنة، وبالدعوة إِلَىٰ الله، وبإنزال الناس منازلهم؛ حصل بهَذَا من الخير العظيم ما لا يحصيه إِلَّا الله. اهـ. [ابن باز].

مَا مُقْتَضَاهُ أَنَّهَا تَخْتَصُّ عَنْ غَيْرِهَا بِالشَّهَوَاتِ، فَكَيْفَ إِذَا رَأَتِ الغَيْرَ قَدِ اسْتَأْثَرَ عَلَيْهَا بِذَلِكَ وَاخْتُصَّ بِهَا دُونَهَا؟!

فَالمُعْتَدِلُ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ الَّذِي يُحِبُّ الاشْتِرَاكَ وَالتَّسَاوِي، وَأَمَّا الآخَرُ فَظَلُومٌ حَسُودٌ، وَهَذَانِ يَقَعَانِ فِي الأُمُورِ المُبَاحَةِ وَالأُمُورِ المُحَرَّمَةِ لِحَقِّ اللهِ، فَمَا كَانَ جِنْسُهُ مُبَاحًا مِنْ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَنِكَاحٍ وَلِبَاسٍ وَرُكُوبٍ وَأَمْوَالٍ، إِذَا وَقَعَ فِيهَا الاخْتِصَاصُ حَصَلَ بِسَبَبِهِ الظُّلْمُ وَالبُخْلُ وَالحَسَدُ وَأَصْلُهَا الشُّحُّ، كَمَا فِي «الصَّحِيحِ» عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؛ أَمَرَهُمْ بِالبُخْلِ فَبَخِلُوا وَأَمَرَهُمْ بِالظُّلْمِ فَظَلَمُوا وَأَمَرَهُمْ بِالقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا»(١).

وَلِهَذَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي وَصْفِ الأَنْصَارِ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أَيْ مِنْ قَبْلِ المُهَاجِرِينَ: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾ أَيْ: لَا يَجِدُونَ الحَسَدَ مِمَّا أُوتِيَ إِخْوَانُهُمْ مِنَ المُهَاجِرِينَ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾. ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩].

وَرُئِيَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ يَطُوفُ بِالبَيْتِ وَيَقُولُ: «رَبِّ قِنِي شُحَّ نَفْسِي رَبِّ قِنِي شُحَّ نَفْسِي رَبِّ قِنِي شُحَّ نَفْسِي، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: إِذَا وُقِيتُ شُحَّ نَفْسِي فَقَدْ وُقِيتُ البُخْلَ وَالظُّلْمَ وَالقَطِيعَةَ» أَوْ كَمَا قَالَ(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود (١٩٦٨)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

(٢) المفلح هُوَ الفائز بالظفر، وهو الحصول عَلَىٰ الخير، وأكثر ما يقع للناس فِي الشرور من هَذِهِ الأشياء، من اتباع الهوىٰ والظلم والبدع والمنافسة فِي المعاصي والسيئات، فتقع الشرور والاختلاف والقتال بأسباب ذَلِكَ، نسأل الله العافية.

لأنَّه إِذَا اجتمع الناس فِي الاستقامة عَلَىٰ الحق والمنافسة فِي الحق واتباعه والتواصي به؛ اجتمعت =

فَهَذَا الشُّحُّ الَّذِي هُوَ شِدَّةُ حِرْصِ النَّفْسِ يُوجِبُ البُخْلَ بِمَنْعِ مَا هُوَ عَلَيْهِ، وَالظُّلْمَ بِأَخْذِ مَالِ الغَيْرِ، وَيُوجِبُ قَطِيعَةَ الرَّحِمِ، وَيُوجِبُ الحَسَدَ وَهُوَ كَرَاهَةُ مَا اخْتُصَّ بِهِ الغَيْرُ وَتَمَنِّي زَوَالَهُ، وَالحَسَدُ فِيهِ بُخْلٌ وَظُلْمٌ؛ فَإِنَّهُ بُخْلٌ بِمَا أُعْطِيَهُ عَنْ غَيْرِهِ وَظُلْمُهُ بِطَلَبِ زَوَالِ ذَلِكَ عَنْهُ(١).

فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي جِنْسِ الشَّهَوَاتِ المُبَاحَةِ فَكَيْفَ بِالمُحَرَّمَةِ كَالزِّنَا وَشُرْبِ الخَمْرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَإِذَا وَقَعَ اخْتِصَاصٌ فَإِنَّهُ يَصِيرُ فِيهَا نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: بُغْضُهَا لِمَا فِيَ ذَلِكَ مِنَ الاخْتِصَاصِ وَالظُّلْمِ كَمَا يَقَعُ فِي الأُمُورِ المُبَاحَةِ الجِنْسِ.

وَالثَّانِي: بُغْضُهَا لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ حَقِّ اللهِ.

وَلِهَذَا كَانَتِ الذُّنُوبُ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ:

أَحَدُهَا: مَا فِيهِ ظُلْمٌ لِلنَّاسِ: كَالظُّلْمِ بِأَخْذِ الأَمْوَالِ وَمَنْعِ الحُقُوقِ وَالحَسَدِ،

=

أمورهم واتحدت كلمتهم وفازوا بالنصر عَلَىٰ عدوهم.

وإنما تقع البلايا والمحن إِذَا اختلفوا فِي المعاصي والبدع والأهواء، نسأل الله السلامة. اهـ. [ابن باز].

(١) والمعنىٰ فِي هَذَا: أن الشحيح أشد من البخيل، وأن الشح أشد من البخل، فكل شحيح بخيل، وليس كُلّ بخيل شحيحًا، ولهَذَا قَالَ سبحانه: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ ما قَالَ بخلها، قَالَ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾.

وإن كَانَ البخل مذمومًا، لأنَّه امتناع من الواجب وتركه للواجب من النفقة، ويسمىٰ البخيل.

وَقَد يبخل أيضًا بالواجب من الكلام الطيب والأمْر بالمَعْرُوف والنَّهْي عَن المُنْكَر، لكن الشحيح أشد من هذا، والشحيح حريص عَلَىٰ أكل مال الغَيْر وعلىٰ الباطل وعلىٰ جمع المال بغَيْر حق وعلىٰ ظلم الناس، بسبب حبه للمال، وحبه للمعصية الَّتِي اختص بها غيره، ومع ذَلِكَ بخيل بما عنده، لا يؤدي الواجب من زكاة ولا صلة رحم ولا غَيْر ذَلِكَ، فقد جمع بين الأمرين: بين الحرص عَلَىٰ المال بالطرق المذمومة، والحرص عَلَىٰ الاستئثار بالأشياء الأخرىٰ من المعاصي، وبخل بما يجب عليه، ولهَذَا قَالَ سبحانه: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾. اهـ. [ابن باز].

وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَالثَّانِي: مَا فِيهِ ظُلْمٌ لِلنَّفْسِ: فَقَطْ كَشُرْبِ الخَمْرِ وَالزِّنَا إِذَا لَمْ يَتَعَدَّ ضَرَرُهُمَا.

وَالثَّالِثُ: مَا يَجْتَمِعُ فِيهِ الأَمْرَانِ: مِثْلَ أَنْ يَأْخُذَ المُتَوَلِّي أَمْوَالَ النَّاسِ يَزْنِي بِهَا وَيَشْرَبُ بِهَا الخَمْرَ، وَمِثْلَ أَنْ يَزْنِيَ بِمَنْ يَرْفَعُهُ عَلَىٰ النَّاسِ بِذَلِكَ السَّبَبِ وَيَضُرُّهُمْ، كَمَا يَقَعُ مِمَّنْ يُحِبُّ بَعْضَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ.

وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

وَأُمُورُ النَّاسِ إِنَّمَا تَسْتَقِيمُ فِي الدُّنْيَا مَعَ العَدْلِ الَّذِي قَدْ يَكُونُ فِيهِ الاشْتِرَاكُ فِي بَعْضِ أَنْوَاعِ الإِثْمِ أَكْثَرَ مِمَّا تَسْتَقِيمُ مَعَ الظُّلْمِ فِي الحُقُوقِ وَإِنْ لَمْ يَشْتَرِكْ فِي إِثْمٍ.

وَلِهَذَا قِيلَ: إِنَّ اللهَ يُقِيمُ الدَّوْلَةَ العَادِلَةَ وَإِنْ كَانَتْ كَافِرَةً وَلَا يُقِيمُ الظَّالِمَةَ، وَإِنْ كَانَتْ مُسْلِمَةً.

وَيُقَالُ: الدُّنْيَا تَدُومُ مَعَ العَدْلِ وَالكُفْرِ، وَلَا تَدُومُ مَعَ الظُّلْمِ وَالإِسْلَامِ.

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَيْسَ ذَنْبٌ أَسْرَعَ عُقُوبَةً مِنَ البَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ»(١) فَالبَاغِي يُصْرَعُ فِي الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ مَغْفُورًا لَهُ مَرْحُومًا فِي الآخِرَةِ.

وَذَلِكَ أَنَّ العَدْلَ نِظَامُ كُلِّ شَيءٍ، فَإِذَا أُقِيمَ أَمْرُ الدُّنْيَا بِالعَدْلِ قَامَتْ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِصَاحِبِهَا فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ، وَمَتَىٰ لَمْ تَقُمْ بِالعَدْلِ لَمْ تَقُمْ وَإِنْ كَانَ لِصَاحِبِهَا مِنَ الإِيمَانِ مَا يُجْزَىٰ بِهِ فِي الآخِرَةِ.

فَالنَّفْسُ فِيهَا دَاعِي الظُّلْمِ لِغَيْرِهَا بِالعُلُوِّ عَلَيْهِ وَالحَسَدِ لَهُ وَالتَّعَدِّي عَلَيْهِ فِي

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١١) بنحوه، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

حَقِّهِ، وَفِيهَا دَاعِي الظُّلْمِ لِنَفْسِهَا بِتَنَاوُلِ الشَّهَوَاتِ القَبِيحَةِ كَالزِّنَا وَأَكْلِ الخَبَائِثِ، فَهِيَ قَدْ تَظْلِمُ مَنْ لَا يَظْلِمُهَا وَتُؤْثِرُ هَذِهِ الشَّهَوَاتِ وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْهَا غَيْرُهَا(١).

فَإِذَا رَأَتَ نُظَرَاءَهَا قَدْ ظَلَمُوا أَوْ تَنَاوَلُوا هَذِهِ الشَّهَوَاتِ صَارَ دَاعِي هَذِهِ الشَّهَوَاتِ أَوِ الظُّلْمِ فِيهَا أَعْظَمَ بِكَثِيرٍ، وَقَدْ تَصْبِرُ وَيُهَيِّجُ ذَلِكَ لَهَا مِنْ بُغْضِ ذَلِكَ الغَيْرِ وَحَسَدِهِ وَطَلَبِ عِقَابِهِ وَزَوَالِ الخَيْرِ عَنْهُ مَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا قَبْلَ ذَلِكَ، وَلَهَا حُجَّةٌ عِنْدَ نَفْسِهَا مِنْ جِهَةِ العَقْلِ وَالدِّينِ بِكَوْنِ ذَلِكَ الغَيْرِ قَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَالمُسْلِمِينَ، وَأَنَّ أَمْرَهُ بِالمَعْرُوفِ وَنَهْيَهُ عَنِ المُنْكَرِ وَاجِبٌ، وَالجِهَادُ عَلَىٰ ذَلِكَ مِنَ الدِّينِ.

وَالنَّاسُ هُنَا ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ: قَوْمٌ لَا يَقُومُونَ إِلَّا فِي أَهْوَاءِ نُفُوسِهِمْ فَلَا يَرْضَوْنَ إِلَّا بِمَا يُعْطَوْنَهُ وَلَا يَغْضَبُونَ إِلَّا لِمَا يُحْرَمُونَهُ، فَإِذَا أُعْطِيَ أَحَدُهُمْ مَا يَشْتَهِيهِ مِنَ الشَّهَوَاتِ الحَلَالِ أَوِ الحَرَامِ زَالَ غَضَبُهُ وَحَصَلَ رِضَاهُ، وَصَارَ الأَمْرُ الَّذِي كَانَ عِنْدَهُ مُنْكَرًا يُنْهَىٰ عَنْهُ وَيُعَاقَبُ عَلَيْهِ، وَيُذَمُّ صَاحِبُهُ وَيَغْضَبُ عَلَيْهِ مَرْضِيًّا عَنْهُ، وَصَارَ فَاعِلًا لَهُ وَشَرِيكًا فِيهِ وَمُعَاوِنًا عَلَيْهِ وَمُعَادِيًا لِمَنْ يَنْهَىٰ عَنْهُ وَيُنْكِرُ عَلَيْهِ.

وَهَذَا غَالِبٌ فِي بَنِي آدَمَ يَرَىٰ الإِنْسَانُ وَيَسْمَعُ مِنْ ذَلِكَ مَا لَا يُحْصِيهِ

---

(١) وكل هَذَا الَّذِي قاله المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أن المعاصي أقسام ثلاثة - مثل ما تقدم - قسم مِنْهَا يتضمن العدوان عَلَىٰ الغَيْر والظلم للغير، كضرب الناس بغَيْر حق، وأكل أموالهم بغَيْر حق، وقتلهم بغَيْر حق.
وقسم مِنْهَا يتعلق بالنفس فقط، بينه وبين الله، ليس له تعلق بالناس، مثل أكل الميتة والتلوث فِي النجاسة والزنا بمن رضيت بزناه وشرب الخمر، فهَذَا يتعلق بظلم نفسه، وهو فيما بينه وبين الله، والمجبورة كذَلِكَ لها حكمها ولها سيئتها.
وقسم يجمع بين الأمرين، فيزني ظلمًا، فيقهرها ويظلمها، أو باللواط ظلمًا، وأخذ المال والاستعانة به عَلَىٰ المعاصي، ونحو ذَلِكَ مِمَّا يجمع بين الشرين، نسأل الله العافية، ولا حول ولا قوة إِلَّا بالله. اهـ. [ابن باز].

إِلَّا اللهُ(١).

وَسَبَبُهُ: أَنَّ الإِنْسَانَ ظَلُومٌ جَهُولٌ فَلِذَلِكَ لَا يَعْدِلُ بَلْ رُبَّمَا كَانَ ظَالِمًا فِي الحَالَيْنِ يَرَىٰ قَوْمًا، يُنْكِرُونَ عَلَىٰ المُتَوَلِّي ظُلْمَهُ لِرَعِيَّتِهِ وَاعْتِدَاءَهُ عَلَيْهِمْ، فَيُرْضِي أُولَئِكَ المُنْكَرِينَ بِبَعْضِ الشَّيءِ مِنْ مَنْصِبٍ أَوْ مَالٍ فَيَنْقَلِبُونَ أَعْوَانًا لَهُ، وَأَحْسَنُ أَحْوَالِهِمْ أَنْ يَسْكُتُوا عَنِ الإِنْكَارِ عَلَيْهِ.

وَكَذَلِكَ تَرَاهُمْ يُنْكِرُونَ عَلَىٰ مَنْ يَشْرَبُ الخَمْرَ وَيَزْنِي وَيَسْمَعُ المَلَاهِي، حَتَّىٰ يُدْخِلُوا أَحَدَهُم مَعَهُمْ فِي ذَلِكَ أَوْ يُرْضُوهُ بِبَعْضِ ذَلِكَ فَتَرَاهُ حِينَئِذٍ قَدْ صَارَ عَوْنًا لَهُمْ.

وَهَؤُلَاءِ قَدْ يَعُودُونَ بِإِنْكَارِهِمْ إِلَىٰ أَقْبَحَ مِنَ الحَالِ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا، وَقَدْ يَعُودُونَ إِلَىٰ مَا هُوَ دُونَ ذَلِكَ أَوْ نَظِيرِهِ.

وَقَوْمٌ يَقُومُونَ قَوْمَةَ دِيَانَةٍ صَحِيحَةٍ يَكُونُونَ فِي ذَلِكَ مُخْلِصِينَ للهِ مُصْلِحِينَ فِيمَا عَمِلُوهُ وَيَسْتَقِيمُ لَهُمْ ذَلِكَ حَتَّىٰ يَصْبِرُوا عَلَىٰ مَا أُوذُوا، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَهُمْ مِنْ خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَيُؤْمِنُونَ بِاللهِ.

وَقَوْمٌ يَجْتَمِعُ فِيهِمْ هَذَا وهَذَا وَهُمْ غَالِبُ المُؤْمِنِينَ، فَمَنْ فِيهِ دِينٌ وَلَهُ شَهْوَةٌ تَجْتَمِعُ فِي قُلُوبِهِمْ إِرَادَةُ الطَّاعَةِ وَإِرَادَةُ المَعْصِيَةِ، وَرُبَّمَا غَلَبَ هَذَا تَارَةً وَهَذَا تَارَةً.

وَهَذِهِ القِسْمَةُ الثُّلَاثِيَّةُ كَمَا قِيلَ: الأَنْفُسُ ثَلَاثٌ: أَمَّارَةٌ وَمُطْمَئِنَّةٌ وَلَوَّامَةٌ،

---

(١) «تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميلة إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط» [أخرجه البخاري (٢٨٨٦)] هَذِهِ حال كثير من الناس أو الأكثر من الناس، يرضىٰ لهواه ويغضب لهواه، وإن كَانَ فيما رضي به معصية الله ﷻ، لكن لما وافق هواه سكت ورضي، نسأل الله العافية. اهـ. [ابن باز].

فَالأَوَّلُونَ هُمْ أَهْلُ الأَنْفُسِ الأَمَّارَةِ الَّتِي تَأْمُرُهُمْ بِالسُّوءِ، وَالأَوْسَطُونَ هُمْ أَهْلُ النُّفُوسِ المُطمَئِنَّةِ الَّتِي قِيلَ فِيهَا: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠].

وَالآخِرُونَ هُمْ أَهْلُ النُّفُوسِ اللَّوَّامَةِ الَّتِي تَفْعَلُ الذَّنْبَ ثُمَّ تَلُومُ عَلَيْهِ وَتَتَلَوَّمُ تَارَةً كَذَا وَتَارَةً كَذَا، أَوْ تَخْلِطُ عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا، وَهَؤُلَاءِ يُرْجَىٰ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِذَا اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [التوبة: ١٠٢] (١).

وَلِهَذَا؛ لَمَّا كَانَ النَّاسُ فِي زَمَنِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ -اللَّذَيْنِ أُمِرَ المُسْلِمُونَ بِالاقْتِدَاءِ بِهِمَا كَمَا قَالَ ﷺ: «اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ»(٢)- أَقْرَبَ عَهْدًا بِالرِّسَالَةِ، وَأَعْظَمَ إِيمَانًا وَصَلَاحًا، وَأَئِمَّتُهُمْ أَقْوَمَ بِالوَاجِبِ وَأَثْبَتَ فِي الطُّمَأْنِينَةِ؛ لَمْ تَقَعْ فِتْنَةٌ إِذْ كَانُوا فِي حُكْمِ القِسْمِ الوَسَطِ.

وَلَمَّا كَانَ فِي آخِرِ خِلَافَةِ عُثْمَانَ وَفِي خِلَافَةِ عَلِيٍّ رضي الله عنهما كَثُرَ القِسْمُ الثَّالِثُ

---

(١) وهَذِهِ حال الناس، أقسام ثلاثة: قسم -مثل ما قَالَ المؤلف- عنده نفس أمّارة بالسوء، فهم يجتهدون فِي الأَمْر بالمَعْرُوف والنَّهْي عَن المُنْكَر والإنكار عَلَىٰ الظلمة ونحو ذَلِكَ لغرض وهوىٰ، لا للإخلاص لله ﷻ، فإذَا أعطوا شيئًا ورضوا بشيء سكتوا.

والقسم الثاني: مؤمنون صادقون، يأمرون بالمَعْرُوف وينهون عَن المُنْكَر ويصبرون عَلَىٰ الأذىٰ، ويستمرون عَلَىٰ ذَلِكَ، وهؤلاء هم أهل النفوس المطمئنة وهم المخلصون الصادقون، مهما كانت الحال فهم صابرون عَلَىٰ الأذىٰ، سواء حصل مطلوبهم أو لم يحصل مطلوبهم، وهؤلاء هم القليلون فِي الناس.

والقسم الثالث: خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا، يأمرون وينهون ويجتهدون، ولكن مع هَذَا يقعون في المعاصي والشرور، ويخلطون هَذَا بهذا، فهؤلاء عَلَىٰ خطر عظيم، إلَّا أن يتداركهم الله برحمة منه وفضل وتوبة صادقة ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ وما أكثر هذا، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله. اهـ. [ابن باز].

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٨٥)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٢٥١١).

فَصَارَ فِيهِمْ شَهْوَةٌ وَشُبْهَةٌ مَعَ الإِيمَانِ وَالدِّينِ وَصَارَ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الوُلَاةِ وَبَعْضِ الرَّعَايَا، ثُمَّ كَثُرَ ذَلِكَ بَعْدُ فَنَشَأَتِ الفِتْنَةُ الَّتِي سَبَبُهَا مَا تَقَدَّمَ مِنْ عَدَمِ تَمْحِيصِ التَّقْوَىٰ وَالطَّاعَةِ فِي الطَّرَفَيْنِ وَاخْتِلَاطِهِمَا بِنَوْعٍ مِنَ الهَوَىٰ وَالعَصَبِيَّةِ فِي الطَّرَفَيْنِ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا مُتَأَوِّلٌ أَنَّهُ يَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰ عَنِ المُنْكَرِ وَأَنَّ مَعَهُ الحَقَّ وَالعَدْلَ، وَمَعَ هَذَا التَّأْوِيلِ نَوْعٌ مِنَ الهَوَىٰ فَفِيهِ نَوْعٌ مِنَ الظَّنِّ وَمَا تَهْوَىٰ الأَنْفُسِ، وَإِنْ كَانَتْ إِحْدَىٰ الطَّائِفَتَيْنِ أَوْلَىٰ بِالحَقِّ مِنَ الأُخْرَىٰ(١).

---

(١) وهَذَا هُوَ الحق الَّذِي ينبغي أن يقال، لما كَانَ زمن الصديق وزمن عمر وزمن الصحابة هُوَ أقرب شيء إِلَىٰ عهد النَّبِيّ ﷺ، وهو قد توافر فِيهِ الأخيار من الصحابة؛ قلَّت فِيهِ الفتن وقلت فِيهِ الشرور، وصار عهدًا صالحًا عظيمًا، عهد جهاد وتقوىٰ، وهكذا فِي أول خلافة عثمان، فلما كثر الناس الآخرون من غَيْر الصحابة ودخلوا فِي الناس، وصار لأحدهم شهوة أو لأحدهم شبهة وتأويل، وقعت الفتن والشرور فِي آخر خلافة عثمان، وهكذا فِي خلافة علي، وعظمت الفتنة، وجرىٰ قتال عَن تأويل واجتهاد مع نوع شهوة وشبهة من بعضهم، حَتَّىٰ جرىٰ ما جرىٰ من المقتلة العظيمة يوم صفين ويوم الجمل، وجرىٰ ما جرىٰ من الفتن العظيمة، كلها بأسباب قلة العلم وضعف العلم وتغَيْر الأحوال، بسبب دخول من دخل بذَلِكَ من العجم وغيرهم من العرب الَّذِينَ لهم بعض الهوىٰ أو بعض الشبهة، وليسوا من الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، فوقع ما وقع من هَذِهِ الشرور الَّتِي فِيهَا عبر، وإن كانت إحدىٰ الطائفتين أولىٰ بالحق، وهي طائفة علي وأصحابه، لكن وقع فِي الطائفتين من الشرور والفتن والشبهات والهوىٰ والتأويل ما أوجب حدوث ما حدث من الحرب والقتال.

ولهَذَا فِي «الصحيحين» يقول النَّبِيّ ﷺ: «تمرق مارقة عَلَىٰ حين فرقة من المسلمين تقتلهم أولىٰ الطائفتين بالحق» [أخرجه مسلم (٢٥٠٧)] فأشار إِلَىٰ الفُرقة وأنَّهم مسلمون، والفرقة وقعت من المسلمين لا من غيرهم، طائفة علي وطائفة معاوية، فحكم لهم بالإسلام، ولكن بيّن أن هَذِهِ المارقة تقتلها أولىٰ الطائفتين بالحق، فقتلهم علي وأصحابه، فعُلم أنَّه أولىٰ الطائفتين بالحق، وإن كانت كُلّ طائفة تدعو إِلَىٰ الحق وتريد الحق وتجتهد فِي طلبه؛ لكن كانت الطائفة الَّتِي فِيهَا علي أولىٰ وأقرب إِلَىٰ ذَلِكَ، رضي الله عَن الجميع، وعفا عنّا وعنهم وعن كُلّ مسلم. اهـ.

س: معنىٰ أولىٰ الطائفتين بالحق مع أن كُلًّا مِنْهُما عَلَىٰ الحق؟

ج: هَذِهِ أولىٰ به لأن فِيهَا من الخير والهدىٰ والعلم ما ليس فِي الأخرىٰ، وفي الطائفتين وأمثالهما نزل قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى﴾

فَلِهَذَا؛ يَجِبُ عَلَىٰ المُؤْمِنِ أَن يَسْتَعِينَ بِاللهِ وَيَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ فِي أَنْ يُقِيمَ قَلبَهُ وَلَا يُزِيغَهُ وَيُثَبِّتَهُ عَلَىٰ الهُدَىٰ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا يَتَّبِعَ الهَوَىٰ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ [الشورىٰ: ١٥] وَهَذَا أَيْضًا حَالُ الأُمَّةِ فِيمَا تَفَرَّقَتْ فِيهِ وَاخْتَلَفَتْ فِي المَقَالَاتِ وَالعِبَادَاتِ.

وَهَذِهِ الأُمُورُ مِمَّا تَعْظُمُ بِهَا المِحْنَةُ عَلَىٰ المُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهُمْ يَحْتَاجُونَ إِلَىٰ شَيْئَيْنِ: إِلَىٰ دَفْعِ الفِتْنَةِ الَّتِي ابْتُلِيَ بِهَا نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ فِتْنَةِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا عَنْ نُفُوسِهِمْ مَعَ قِيَامِ المُقْتَضِي لَها، فَإِنَّ مَعَهُمْ نُفُوسًا وَشَيَاطِينَ كَمَا مَعَ غَيْرِهِمْ.

فَمَعَ وُجُودِ ذَلِكَ مِنْ نُظَرَائِهِمْ يَقْوَىٰ المُقْتَضِي عِنْدَهُمْ كَمَا هُوَ الوَاقِعُ، فَيَقْوَىٰ الدَّاعِي الَّذِي فِي نَفْسِ الإِنْسَانِ وَشَيْطَانِهِ وَدَوَاعِي الخَيْرِ كَذَلِكَ، وَمَا يَحْصُلُ مِنَ الدَّاعِي بِفِعْلِ الغَيْرِ وَالنَّظِيرِ.

فَكَمْ مِنَ النَّاسِ لَمْ يُرِدْ خَيْرًا وَلَا شَرًّا حَتَّىٰ رَأَىٰ غَيْرَهُ، لَاسِيَّمَا إِنْ كَانَ نَظِيرُهُ يَفْعَلُهُ فَفَعَلَهُ، فَإِنَّ النَّاسَ كَأَسْرَابِ القَطَا مَجْبُولُونَ عَلَىٰ تَشَبُّهِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ.

وَلِهَذَا؛ كَانَ المُبْتَدِئُ بِالخَيْرِ وَبِالشَّرِّ لَهُ مِثْلُ مِنْ تَبِعَهُ مِنَ الأَجْرِ وَالوِزْرِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا»[1] وَذَلِكَ لِاشْتِرَاكِهِمْ فِي الحَقِيقَةِ

=

[الحجرات: ٩] فالطائفتان أولىٰ الطوائف بالدخول فِي هَذِهِ الآية الكريمة، الطائفتان الشامية والعراقية هم أولىٰ الطوائف بالدخول فِي هَذِهِ الآية، فحكم لهم بالإيمان وأمر بقتال الباغي. اهـ. [ابن باز].

(١) أخرجه مسلم (٢٣٩٨).

وَأَنَّ حُكْمَ الشَّيءِ حُكْمُ نَظِيرِهِ وَشَبِيهَ الشَّيءِ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ.

فَإِذَا كَانَ هَذَانِ دَاعِيَيْنِ قَوِيَّيْنِ فَكَيْفَ إِذَا انْضَمَّ إِلَيْهِمَا دَاعِيَانِ آخَرَانِ.

وَذَلِكَ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ المُنْكَرِ يُحِبُّونَ مَنْ يُوَافِقُهُمْ عَلَىٰ مَا هُمْ فِيهِ وَيَبْغَضُونَ مَنْ لَا يُوَافِقُهُمْ، وَهَذَا ظَاهِرٌ فِي الدِّيَانَاتِ الفَاسِدَةِ مِنْ مُوَالَاةِ كُلِّ قَوْمٍ لِمُوَافِقِيهِمْ وَمُعَادَاتِهِمْ لمُخَالِفِيهِمْ، وَكَذَلِكَ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا وَالشَّهَوَاتِ كَثِيرًا مَا يَخْتَارُ أَهْلُهَا وَيُؤْثِرُونَ مَنْ يُشَارِكُهُمْ فِي أُمُورِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ، إِمَّا لِلمُعَاوَنَةِ عَلَىٰ ذَلِكَ كَمَا فِي المُتَغَلِّبِينَ مِنْ أَهْلِ الرِّيَاسَاتِ وَقُطَّاعِ الطَّرِيقِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَإِمَّا لِتَلَذُّذِهِمْ بِالمُوَافَقَةِ كَمَا فِي المُجْتَمِعِينَ عَلَىٰ شُرْبِ الخَمْرِ مَثَلًا فَإِنَّهُمْ يُحِبُّونَ أَنْ يَشْرَبَ كُلُّ مَنْ حَضَرَ عِنْدَهُمْ، وَإِمَّا لِكَرَاهَتِهِمْ امْتِيَازَهُ عَنْهُمْ بِالخَيْرِ إِمَّا حَسَدًا لَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَإِمَّا لِئَلَّا يَعْلُوَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ وَيُحْمَدَ دُونَهُمْ، وَإِمَّا لِئَلَّا يَكُونَ لَهُ عَلَيْهِمْ حُجَّةٌ، وَإِمَّا لِخَوْفِهِمْ مِنْ مُعَاقَبَتِهِ لَهُمْ بِنَفْسِهِ أَوْ بِمَنْ يَرْفَعُ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ، وَلِئَلَّا يَكُونُوا تَحْتَ مِنَّتِهِ وَحَظْرِهِ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الأَسْبَابِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي المُنَافِقِينَ: ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾

[النساء: ٨٩].

وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وَدَّتِ الزَّانِيَةُ لَوْ زَنَىٰ النِّسَاءُ كُلُّهُنَّ».

وَالمُشَارَكَةُ قَدْ يَخْتَارُونَهَا فِي نَفْسِ الفُجُورِ كَالِاشْتِرَاكِ فِي شُرْبِ الخَمْرِ وَالكَذِبِ وَالاعْتِقَادِ الفَاسِدِ، وَقَدْ يَخْتَارُونَهَا فِي النَّوْعِ كَالزَّانِي الَّذِي يَوَدُّ أَنَّ غَيْرَهُ يَزْنِي أَوِ السَّارِقُ الَّذِي يَوَدُّ أَنَّ غَيْرَهُ يَسْرِقُ لَكِنْ فِي غَيْرِ العَيْنِ الَّتِي زَنَىٰ بِهَا أَوْ سَرَقَهَا.

وَأَمَّا الدَّاعِي الثَّانِي فَقَدْ يَأْمُرُونَ الشَّخْصَ بِمُشَارَكَتِهِمْ فِيمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْمُنْكَرِ، فَإِنْ شَارَكَهُمْ وَإِلَّا عَادَوْهُ وَآذَوْهُ عَلَىٰ وَجْهٍ قَدْ يَنْتَهِي إِلَىٰ حَدِّ الإِكْرَاهِ أَوْ لَا يَنْتَهِي إِلَىٰ حَدِّ الإِكْرَاهِ(١).

ثُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَخْتَارُونَ مُشَارَكَةَ الغَيْرِ لَهُمْ فِي قَبِيحِ فِعْلِهِمْ أَوْ يَأْمُرُونَهُ بِذَلِكَ وَيَسْتَعِينُونَ بِهِ عَلَىٰ مَا يُرِيدُونَهُ، مَتَىٰ شَارَكَهُمْ وَعَاوَنَهُمْ وَأَطَاعَهُمْ انْتَقَصُوهُ وَاسْتَخَفُّوا بِهِ وَجَعَلُوا ذَلِكَ حُجَّةً عَلَيْهِ فِي أُمُورٍ أُخْرَىٰ، وَإِنْ لَمْ يُشَارِكْهُمْ عَادَوْهُ وَآذَوْهُ، وَهَذِهِ حَالُ غَالِبِ الظَّالِمِينَ القَادِرِينَ.

وَهَذَا المَوْجُودُ فِي المُنْكَرِ مَوْجُودٌ نَظِيرُهُ فِي المَعْرُوفِ وَأَبْلَغُ مِنْهُ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، فَإِنَّ دَاعِيَ الخَيْرِ أَقْوَىٰ، فَإِنَّ الإِنْسَانَ فِيهِ دَاعٍ يَدْعُوهُ إِلَىٰ الإِيمَانِ وَالعِلْمِ وَالصِّدْقِ وَالعَدْلِ وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ، فَإِذَا وَجَدَ مَنْ يَعْمَلُ مِثْلَ ذَلِكَ صَارَ لَهُ دَاعٍ آخَرَ، لَاسِيَّمَا إِذَا كَانَ نَظِيرَهُ، لَاسِيَّمَا مَعَ المُنَافَسَةِ وَهَذَا مَحْمُودٌ حَسَنٌ، فَإِنْ وَجَدَ مَنْ يُحِبُّ مُوَافَقَتَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ وَمُشَارَكَتَهُ لَهُ مِنَ المُؤْمِنِينَ

---

(١) وكل هَذَا يوجب للعاقل الحذر، فإن الفتن والشرور إِذَا ظهرت، فالمؤمن يحتاج إِلَىٰ هَذَا الأمر، يحتاج إِلَىٰ الدفاع عَن نفسه، والأخذ بالأسباب الَّتِي تمنعه من الوقوع فيما وقع فِيهِ الناس بالتحفظ والتعلم والتفقه والبعد عَن مشاركتهم وعن مصاحبتهم، ويحتاج أيضًا إِلَىٰ مزيد من العلم والبصيرة والهدىٰ حَتَّىٰ لا يقع فيما وقع فِيهِ الناس، فيجب أن يحذر شرهم، وألا يجروه إِلَىٰ باطلهم، ويجب أن يَكُون عَلَىٰ بصيرة حَتَّىٰ لا يقع فِي الباطل عَن جهل وضلال.

والمبطلون تارة يجبرون غيرهم عَلَىٰ مشاركتهم فِي الباطل، وتارة يحبذون ذَلِكَ ويدعون إليه عَلَىٰ حسب قدرتهم، حَتَّىٰ لا ينكر عليهم أو يرفع بأمرهم أو يمتاز عليهم أو إِلَىٰ غَيْر ذَلِكَ كَمَا ذكر المؤلف.

وهَذِهِ أمور واقعة ومعروفة، فكل من عرف أمور الناس وسبرهم يعرف حالهم، وأن الغالب عَلَىٰ المجرمين يودون أن غيرهم مثلهم، يودون أن غيرهم يَكُون مثلهم حَتَّىٰ لا ينكر عليهم ولا يرفع عنهم، كَمَا أن الصلحاء والأخيار يودون أن الناس اهتدوا ودخلوا فِي دين الله وصاروا مثلهم فِي الصلاح. اهـ. [ابن باز].

وَالصَّالِحِينَ وَمَنْ يَبْغَضُهُ إِذَا لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ صَارَ لَهُ دَاعٍ ثَالِثٌ، فَإِذَا أَمَرُوهُ بِذَلِكَ وَوَالَوْهُ عَلَىٰ ذَلِكَ وَعَادَوْهُ وَعَاقَبُوهُ عَلَىٰ تَرْكِهِ صَارَ لَهُ دَاعٍ رَابِعٌ.

وَلِهَذَا؛ يُؤْمَرُ الْمُؤْمِنُونَ أَنْ يُقَابِلُوا السَّيِّئَاتِ بِضِدِّهَا مِنَ الحَسَنَاتِ كَمَا يُقَابِلُ الطَّبِيبُ المَرَضَ بِضِدِّهِ، فَيُؤْمَرُ المُؤْمِنُ بِأَنْ يُصْلِحَ نَفْسَهُ وَذَلِكَ بِشَيْئَيْنِ بِفِعْلِ الحَسَنَاتِ وَبِتَرْكِ السَّيِّئَاتِ مَعَ وُجُودِ مَا يَنْفِي الحَسَنَاتِ وَيَقْتَضِي السَّيِّئَاتِ، وَهَذِهِ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ.

وَيُؤْمَرُ أَيْضًا بِإِصْلَاحِ غَيْرِهِ بِهَذِهِ الأَنْوَاعِ الأَرْبَعَةِ بِحَسَبِ قُدْرَتِهِ وَإِمْكَانِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ - ٣].

وَرُوِيَ عَنِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «لَوْ فَكَّرَ النَّاسُ كُلُّهُمْ فِي سُورَةِ العَصْرِ لَكَفَتْهُمْ».

وَهُوَ كَمَا قَالَ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَخْبَرَ فِيهَا أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ خَاسِرُونَ إِلَّا مَنْ كَانَ فِي نَفْسِهِ مُؤْمِنًا صَالِحًا وَمَعَ غَيْرِهِ مُوصِيًا بِالحَقِّ مُوصِيًا بِالصَّبْرِ(١).

---

(١) وهَذَا يدل عَلَىٰ أن السعادة فِي الأمور الأربعة، وهو إيمانه بالله، وعمله الصالح، ونصحه لعباد الله بالتواصي بالحق والصبر عليه، فهو عامل بالخير، داع إليه، صابر عَلَىٰ الأذىٰ فِي ذَلِكَ بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر، هَذِهِ صفات خيرة عباد الله، وهم الَّذِينَ جمعوا بين الأصول الأربعة والصفات الأربعة، فهي أصل السعادة وأصول صلاح المجتمع.
إيمان بالله ورسوله يتضمن الإخلاص لله وتوحيده والقيام بحقه فِي العمل الصالح، ويتضمن الدعوة إِلَىٰ الله والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، وبهَذَا يصلح العباد وتصلح المجتمعات، إِذَا صلح أفرادها واستقاموا عَلَىٰ دين الله، وتواصوا بالحق والصبر عليه، وبهَذَا يدخل غيرهم في الخير بأسبابهم، ويقل الشر بأسبابهم، ويحصل التعاون والتناصح، وبهذا تختفي الرذائل وتنتشر الفضائل، ويقوم قائم الحق، ويختفي داعي الباطل. اهـ. [ابن باز].

وَإِذَا عَظُمَتِ المِحْنَةُ كَانَ ذَلِكَ لِلمُؤْمِنِ الصَّالِحِ سَبَبًا لِعُلُوِّ الدَّرَجَةِ وَعَظِيمِ الأَجْرِ، كَمَا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «**الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، يُبْتَلَىٰ الرَّجُلُ عَلَىٰ حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيدَ فِي بَلَائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ البَلَاءُ بِالمُؤْمِنِ حَتَّىٰ يَمْشِيَ عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**»(١)(٢).

وَحِينَئِذٍ فَيَحْتَاجُ مِنَ الصَّبْرِ إِلَىٰ مَا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ غَيْرُهُ وَذَلِكَ هُوَ سَبَبُ الإِمَامَةِ فِي الدِّينِ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤].

فَلَابُدَّ مِنَ الصَّبْرِ عَلَىٰ فِعْلِ الحَسَنِ المَأْمُورِ وَتَرْكِ السَّيِّئِ المَحْظُورِ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الصَّبْرُ عَلَىٰ الأَذَىٰ وَعَلَىٰ مَا يُقَالُ وَالصَّبْرُ عَلَىٰ مَا يُصِيبُهُ مِنَ المَكَارِهِ وَالصَّبْرُ عَنِ البَطَرِ عِنْدَ النِّعَمِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الصَّبْرِ.

وَلَا يُمْكِنُ العَبْدُ أَنْ يَصْبِرَ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَا يَطْمَئِنُّ لَهُ وَيَتَنَعَّمُ بِهِ وَيَغْتَذِي بِهِ وَهُوَ

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١٧٢)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٩٩٢).

(٢) وهَذَا مِمَّا يسلي المؤمن - خصوصًا طالب العلم - فيما قد يصيبه من الأذىٰ، إِذَا كَانَ الأنبياء - وهم أفضل الخلق، وهم السادة وهم الأَئِمَّة - أشد الناس بلاءً، فكيف يستنكر المقتدي بهم والتابع لهم أن يصيبه ما أصابهم أو بعض ما أصابهم؟

فمِنْهُم من قتل، فيقتلون الأنبياء بغَيْر حق، ومِنْهُم من أوذي الأذىٰ الكثير ولم يقتل، كجمع كثير مِنْهُم، ومِنْهُم نبينا عَلَيْه الصلاة والسلام، فقد أوذي كثيرًا ولم يقتل، هَذَا كله يدل عَلَىٰ أن المؤمنين يجب أن يكونوا هكذا، صُبُرًا متأسين بأنبياء الله، لا يجزعون ولا تخور عزائمهم عند الأذىٰ، ولهم أسوة بالأنبياء والأخيار: «**أشد الناس بلاء الأنبياء ثُمَّ الصالحون ثُمَّ الأمثل فالأمثل**» كُلّ يبتلىٰ عَلَىٰ قدر دينه وعلىٰ قدر علمه وبصيرته.

ومع ذَلِكَ ترفع له الدرجات، وتغفر له السيئات، وتعظم له الأجور، عَلَىٰ حسب ما أعطاه الله من العلم والصبر والاحتساب والعمل الصالح والدعوة إِلَىٰ ذَلِكَ. اهـ. [ابن باز].

اليَقِينُ، كَمَا فِي الحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّه قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، سَلُوا اللهَ اليَقِينَ وَالعَافِيَةَ فَإِنَّهُ لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ بَعْدَ اليَقِينَ خَيْرًا مِنَ العَافِيَةِ فَسَلُوهما اللهَ»(١).

وَكَذَلِكَ إِذَا أَمَرَ غَيْرَهُ بِحُسْنٍ أَوْ أَحَبَّ مُوَافَقَتَهُ لَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ، أَوْ نَهَىٰ غَيْرَهُ عَنْ شَيءٍ فَيَحْتَاجُ أَنْ يُحْسِنَ إِلَىٰ ذَلِكَ الغَيْرِ إِحْسَانًا يَحْصُلُ بِهِ مَقْصُودُهُ مِنْ حُصُولِ المَحْبُوبِ وَانْدِفَاعِ المَكْرُوهِ، فَإِنَّ النُّفُوسَ لَا تَصْبِرُ عَلَىٰ المُرِّ إِلَّا بِنَوْعٍ مِنَ الحُلْوِ لَا يُمْكِنُ غَيْرُ ذَلِكَ.

وَلِهَذَا؛ أَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ بِتَأْلِيفِ القُلُوبِ حَتَّىٰ جَعَلَ لِلمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ نَصِيبًا فِي الصَّدَقَاتِ(٢).

وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾ [البلد: ١٧].

فَلَابُدَّ أَنْ يَصْبِرَ وَأَنْ يَرْحَمَ وَهَذَا هُوَ الشَّجَاعَةُ وَالكَرَمُ.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٣٦٣٢).

(٢) وهَذَا كله واضح عند من أراد أن يعان عَلَىٰ الخير ويُقبل منه الحق فلَابُدَّ من الصبر ولَابُدَّ من بذل المَعْرُوف ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [المؤمنون: ٩٦]، فالصبر عَلَىٰ المر يحتاج إِلَىٰ شيء من الحلو يعين عَلَىٰ ذَلِكَ، فالدعاء إِلَىٰ الله وتوجيه الناس إِلَىٰ الخير وإرشادهم إِلَىٰ الهدىٰ من ولاة الأمور يحتاج مع ذَلِكَ إِلَىٰ إعانتهم عَلَىٰ أمور دنياهم ومواساة فقيرهم والإحسان إليهم وإزالة الشدائد عندهم، كي يقبلوا الحق ويُقبلوا عليه، وَقَد كَانَ الرجل يسلم لا يريد إِلَّا الدنيا، فلا يزال الرسول يعطيه عَلَيْه الصلاة والسلام حَتَّىٰ يَكُون الدين أحب إليه من كُلّ شيء، ولهَذَا جعل الله للمؤلفة قلوبهم حقًّا فِي المال، يعني الزكاة، وحقًّا فِي بيت المال، حَتَّىٰ يقبلوا الحق، وحَتَّىٰ يدعوا إليه، وحَتَّىٰ يدافعوا عنه، وحَتَّىٰ يلزموا به من فِي اتباعهم ومن يقبل قولهم، والله المستعان. اهـ. [ابن باز].

وَلِهَذَا؛ يَقْرِنُ اللهُ تَعَالَىٰ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ تَارَةً وَهِيَ الإِحْسَانُ إِلَىٰ الخَلْقِ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الصَّبْرِ تَارَةً، وَلَابُدَّ مِنَ الثَّلَاثَةِ الصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ وَالصَّبْرُ لَا تَقُومُ مَصْلَحَةُ المُؤْمِنِينَ إِلَّا بِذَلِكَ فِي صَلَاحِ نُفُوسِهِمْ وَإِصْلَاحِ غَيْرِهِمْ لَاسِيَّما، كُلَّمَا قَوِيَتِ الفِتْنَةُ وَالمِحْنَةُ فَإِنَّ الحَاجَةَ إِلَىٰ ذَلِكَ تَكُونُ أَشَدَّ، فَالحَاجَةُ إِلَىٰ السَّمَاحَةِ وَالصَّبْرِ عَامَّةٌ لِجَمِيعِ بَنِي آدَمَ لَا تَقُومُ مَصْلَحَةُ دِينِهِمْ وَلَا دُنْيَاهُمْ إِلَّا بِهِمَا.

وَلِهَذَا؛ فَإِنَّ جَمِيعَهُمْ يَتَمَادَحُونَ بِالشَّجَاعَةِ وَالكَرَمِ، حَتَّىٰ إِنَّ ذَلِكَ عَامَّةُ مَا يَمْدَحُ بِهِ الشُّعَرَاءُ مَمْدُوحِيهِمْ فِي شِعْرِهِمْ، وَكَذَلِكَ يَتَذَامُّونَ بِالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ.

وَالقَضَايَا الَّتِي يَتَّفِقُ عَلَيْهَا عُقَلَاءُ بَنِي آدَمَ لَا تَكُونُ إِلَّا حَقًّا، كَاتِّفَاقِهِمْ عَلَىٰ مَدْحِ الصِّدْقِ وَالعَدْلِ وَذَمِّ الكَذِبِ وَالظُّلْمِ.

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا سَأَلَهُ الأَعْرَابُ حَتَّىٰ اضْطَرُّوهُ إِلَىٰ سَمُرَةٍ فَتَعَلَّقَتْ بِرِدَائِهِ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ وَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ عِنْدِي عَدَدَ هَذِهِ العِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ عَلَيْكُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلَا جَبَانًا وَلَا كَذُوبًا**»(١)(٢).

وَلَكِنْ يَتَنَوَّعُ ذَلِكَ بِتَنَوُّعِ المَقَاصِدِ وَالصِّفَاتِ فَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٢١).

(٢) وفي هَذَا المعنىٰ يقول جل وعلا: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ﴾ [لقمان: ١٧] فإقام الصلاة والأمْر بالمَعْرُوف والنهي عَن المُنْكَر يحتاج إِلَىٰ شجاعة وصبر وثبات، فالجبان لا يصنع شيئًا ولا يفعل شيئًا، وقليل الصبر -الجزوع- لا يفعل شيئًا، فالأمْر بالمَعْرُوف والنهي عَن المُنْكَر والدعوة إِلَىٰ الله والجهاد في سبيل الله، كل ذَلِكَ يحتاج إِلَىٰ الصبر والقوة والشجاعة والثبات، ومن وسائل ذَلِكَ إقام الصلاة وإيتاء الزكاة؛ لأن إقام الصلاة وإيتاء الزكاة إنما يصدران عَن إيمان وعن صدق وعن رغبة فيما عند الله، هَذَا الإيمان وهَذَا الصدق يحمل أهله عَلَىٰ الأمْر بالمَعْرُوف والنهي عَن المُنْكَر، والجهاد في سبيل الله والشجاعة والإقدام والصبر عَلَىٰ المصائب والمكاره. اهـ. [ابن باز].

امْرِئٍ مَا نَوَىٰ؛ وَلِهَذَا جَاءَ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ بِذَمِّ البُخْلِ وَالجُبْنِ وَمَدْحِ الشَّجَاعَةِ وَالسَّمَاحَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ دُونَ مَا لَيْسَ فِي سَبِيلِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**شَرُّ مَا فِي المَرْءِ شُحٌّ هَالِعٌ وَجُبْنٌ خَالِعٌ**»(١).

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ سَيِّدُكُمْ يَا بَنِي سَلَمَةَ؟**» فَقَالُوا: الجَدُّ بْنُ قَيْسٍ عَلَىٰ أَنَّا نَزِنُهُ بِالبُخْلِ فَقَالَ: «**وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَىٰ مِنَ البُخْلِ**»؟ وَفِي رِوَايَةٍ: «**إِنَّ السَّيِّدَ لَا يَكُونُ بَخِيلًا بَلْ سَيِّدُكُمُ الأَبْيَضُ الجَعْدُ بِشْرُ بْنُ البَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ**»(٢).

وَكَذَلِكَ فِي «الصَّحِيحِ» قَوْلُ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنهما: «إِما أَنْ تُعْطِيَنِي، وَإِمَّا أَنْ تَبْخَلَ عَنِّي. فَقَالَ: تَقُولُ وَإِمَّا أَنْ تَبْخَلَ عَنِّي؟! وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَىٰ مِنَ البُخْلِ». فَجَعَلَ البُخْلَ مِنْ أَعْظَمِ الأَمْرَاضِ.

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنْ سَلْمَانَ بْنِ رَبِيعَةَ قَالَ: قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: وَأَقْسَمَ النَّبِيُّ ﷺ قَسْمًا فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَاللهِ لَغَيْرُ هَؤُلَاءِ أَحَقُّ بِهِ مِنْهُمْ فَقَالَ: «**إِنَّهُمْ خَيَّرُونِي بَيْنَ أَنْ يَسْأَلُونِي بِالفُحْشِ وَبَيْنَ أَنْ يُبَخِّلُونِي، وَلَسْتُ بِبَاخِلٍ**»(٣).

يَقُولُ: إِنَّهُمْ يَسْأَلُونِي مَسْأَلَةً لَا تَصْلُحُ فَإِنْ أَعْطَيْتُهُمْ وَإِلَّا قَالُوا هُوَ بَخِيلٌ، فَقَدْ خَيَّرُونِي بَيْنَ أَمْرَيْنِ مَكْرُوهَيْنِ لَا يَتْرُكُونِي مِنْ أَحَدِهِمَا: المَسْأَلَةُ الفَاحِشَةُ وَالتَّبْخِيلُ، وَالتَّبْخِيلُ أَشَدُّ فَأَدْفَعُ الأَشَدَّ بِإِعْطَائِهِمْ(٤).

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٢)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٣٧٠٩).

(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٢٤٢)، وقال الذهبي: صحيح علىٰ شرط مسلم.

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٧٥).

(٤) وهَذَا يدل عَلَىٰ أَنَّه لا مانع أن يدفع المرء عَن نفسه، ولا سيما ولاة الأمور والمسئولون، أن يدفعوا بالحسنىٰ وبالمال والعطاء لإخفاف الألسن عَن الذم والشر والفساد الذي قد يجر إِلَىٰ فتن، وكذَلِكَ =

وَالبُخْلُ جِنْسٌ تَحْتَهُ أَنْوَاعٌ كَبَائِرُ وَغَيْرُ كَبَائِرَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وَقَالَ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ [النساء: ٣٦، ٣٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾

[التوبة: ٥٤].

وَقَالَ: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ [التوبة: ٧٦، ٧٧].

وَقَالَ: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [محمد: ٣٨].

وَقَالَ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون: ٤ - ٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ

=

لإخراس الألسن عَن الظن بالبخل والشح، فإن هَذَا إذا ذكر عَن ولاة الأمور وعن العلماء والأخيار؛ صار ذمًّا قبيحًا، ومنفِّرًا من قبول الحق، ومن اتباع الحق، ومنفِّرًا من السمع والطاعة، ولهَذَا يشرع للمؤمن أن يدفع عَن نفسه القالة والأذىٰ والظن بالبخل أو سوء الكلام والفحش، كَمَا فعله النَّبِيّ ﷺ: «بين إلَّا أن يبخلوني ويأبىٰ الله لي البخل» وهكذا سؤالهم الفحش، فالدفع عَن العرض، والدفع عَن السمعة بالعطاء والجود مما يأجر الله ﷻ عليه. اهـ. [ابن باز].

ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥]، وَكَثِيرٌ مِنَ الآيِ فِي القُرْآنِ مِنَ الأَمْرِ بِالإِيتَاءِ وَالإِعْطَاءِ وَذَمِّ مَنْ تَرَكَ ذَلِكَ، كُلُّهُ ذَمٌّ لِلبُخْلِ.

وَكَذَلِكَ ذَمُّهُ لِلجُبْنِ كَثِيرٌ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنفال: ١٦].

وَقَوْلُهُ عَنِ المُنَافِقِينَ: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [التوبة: ٥٦، ٥٧].

وَقَوْلُهُ: ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [محمد: ٢٠].

وَقَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ [النساء: ٧٧].

وَمَا فِي القُرْآنِ مِنَ الحَضِّ عَلَى الجِهَادِ وَالتَّرْغِيبِ فِيهِ وَذَمِّ النَّاكِلِينَ عَنْهُ وَالتَّارِكِينَ لَهُ، كُلُّهُ ذَمٌّ لِلجُبْنِ. ولَمَّا كَانَ صَلَاحُ بَنِي آدَمَ لَا يَتِمُّ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ إِلَّا بِالشَّجَاعَةِ وَالكَرَمِ، بَيَّنَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَنَّه مَنْ تَوَلَّى عَنْهُ بِتَرْكِ الجِهَادِ بِنَفْسِهِ أَبْدَلَ اللهُ بِهِ مَنْ يَقُومُ بِذَلِكَ، وَمَنْ تَوَلَّى عَنْهُ بِإِنْفَاقِ مَالِهِ أَبْدَلَ اللهُ بِهِ مَنْ يَقُومُ بِذَلِكَ فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى

﴿ٱلْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [التوبة: ٣٨، ٣٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَٰأَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد: ٣٨].

وَبِالشَّجَاعَةِ وَالكَرَمِ فِي سَبِيلِ اللهِ فَضَّلَ اللهُ السَّابِقِينَ فَقَالَ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

وَقَدْ ذَكَرَ الجِهَادَ بِالنَّفْسِ وَالمَالِ فِي سَبِيلِهِ وَمَدَحَهُ فِي غَيْرِ آيَةٍ مِنْ كِتَابِهِ وَذَلِكَ هُوَ الشَّجَاعَةُ وَالسَّمَاحَةُ فِي طَاعَتِهِ سُبْحَانَهُ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، وَمِلَاكُ الشَّجَاعَةِ الصَّبْرُ الَّذِي يَتَضَمَّنُ قُوَّةَ القَلْبِ وَثَبَاتَهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: ٤٥، ٤٦].

وَالشَّجَاعَةُ لَيْسَتْ هِيَ قُوَّةُ البَدَنِ، فَقَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ قَوِيَّ البَدَنِ ضَعِيفَ القَلْبِ، وَإِنَّمَا هِيَ قُوَّةُ القَلْبِ وَثَبَاتُهُ(١).

---

(١) صدق رَحِمَهُ اللَّهُ، قوة الإنسان بقلبه لا بالبدن، فقد يكون قوي البدن، أقوىٰ مِنَ البعير وأقوىٰ مِنَ البغل، ولكن ما عنده قلب، ضعيف، عند أقل شيء ينهزم.

ولكن قوة القلب هي القوة وهي الشجاعة، يثبت ويصابر ويناضل مع ضعف جسمه، لكن قوة القلب وقوة الإيمان.

=

فَإِنَّ القِتَالَ مَدَارُهُ عَلَىٰ قُوَّةِ البَدَنِ وَصَنْعَتِهِ لِلْقِتَالِ وَعَلَىٰ قُوَّةِ القَلْبِ وَخِبْرَتِهِ بِهِ، وَالمَحْمُودُ مِنْهُمَا مَا كَانَ بِعِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ دُونَ التَّهَوُّرِ الَّذِي لَا يُفَكِّرُ صَاحِبُهُ وَلَا يُمَيِّزُ بَيْنَ المَحْمُودِ وَالمَذْمُومِ(١).

وَلِهَذَا؛ كَانَ القَوِيُّ الشَّدِيدُ هُوَ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ حَتَّىٰ يَفْعَلَ مَا يَصْلُحُ دُونَ مَا لَا يَصْلُحُ، فَأَمَّا المَغْلُوبُ حِينَ غَضَبِهِ فَلَيْسَ هُوَ بِشُجَاعٍ وَلَا شَدِيدٍ.

وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ جِمَاعَ ذَلِكَ هُوَ الصَّبْرُ فَإِنَّهُ لَابُدَّ مِنْهُ، وَالصَّبْرُ صَبْرَانِ: صَبْرٌ عِنْدَ الغَضَبِ وَصَبْرٌ عِنْدَ المُصِيبَةِ.

كَمَا قَالَ الحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا تَجَرَّعَ عَبْدٌ جَرْعَةً أَعْظَمَ مِنْ جَرْعَةِ حِلْمٍ عِنْدَ الغَضَبِ، وَجَرْعَةِ صَبْرٍ عِنْدَ المُصِيبَةِ».

وَذَلِكَ لِأَنَّ أَصْلَ ذَلِكَ هُوَ الصَّبْرُ عَلَىٰ المُؤْلِمِ، وَهَذَا هُوَ الشُّجَاعُ الشَّدِيدُ الَّذِي يَصْبِرُ عَلَىٰ المُؤْلِمِ، وَالمُؤْلِمُ إِنْ كَانَ مِمَّا يُمْكِنُ دَفْعُهُ أَثَارَ الغَضَبَ، وَإِنْ كَانَ مِمَّا لَا يُمْكِنُ دَفْعُهُ أَثَارَ الحُزْنَ، وَلِهَذَا يَحْمَرُّ الوَجْهُ عِنْدَ الغَضَبِ لِثَوَرَانِ الدَّمِ عِنْدَ اسْتِشْعَارِ القُدْرَةِ، وَيَصْفَرُّ عِنْدَ الحُزْنِ لِغَوْرِ الدَّمِ عِنْدَ اسْتِشْعَارِ العَجْزِ.

=

قيل لبعضهم: ما الفرق بَيْنَ الشجاعة والجبن؟ قال: صبر ساعة.

إذا صبر هَذَا وجاهد وقاتل؛ هَذَا هو الفرق بينه وبين من تولىٰ وأدبر. اهـ. [ابن باز].

(١) لَابُدَّ أن تكون الشجاعة عَلَىٰ بصيرة لا يكون متهورًا، فالشجاعة تحتاج إِلَىٰ بصيرة وإِلَىٰ ثبات، يُقدم حيث كان الإقدام مناسبًا، ويقف عندما تكون الوقفة مناسبة، والتهور أن يقدم عَلَىٰ غَيْر بصيرة حَتَّىٰ يُقتَل، أو يسبب الهزيمة عَلَىٰ المسلمين، لَابُدَّ من تثبت، حَتَّىٰ يعرف هل الإقدام أنسب أو الوقوف أنسب أو التأخر، فيعمل ما هو الأصلح للجيش وللمسلمين. اهـ.

س: حَتَّىٰ وإن كان فِي الأمْر بالمَعْرُوف؟

ج: فِي كل شيء، فِي الأمْر بالمَعْرُوف، وفي التعليم، وفي الدعوة إِلَىٰ الله، يحتاج إِلَىٰ تأنٍّ وإِلَىٰ صبر وبصيرة. اهـ. [ابن باز].

وَلِهَذَا؛ جَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا تَعُدُّونَ الرَّقُوبَ فِيكُمْ»؟ قَالُوا: الرَّقُوبُ الَّذِي لَا يُولَدُ لَهُ قَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ بِالرَّقُوبِ، وَلَكِنَّ الرَّقُوبَ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّمْ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا» ثُمَّ قَالَ: «مَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ»؟ قُلْنَا: الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ فَقَالَ: «لَيْسَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّ الصُّرَعَةَ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ»(١) فَذَكَرَ مَا يَتَضَمَّنُ الصَّبْرَ عِنْدَ المُصِيبَةِ وَالصَّبْرَ عِنْدَ الغَضَبِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي المُصِيبَةِ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة: ١٥٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي الغَضَبِ: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٥].

وَهَذَا الجَمْعُ بَيْنَ صَبْرِ المُصِيبَةِ وَصَبْرِ الغَضَبِ نَظِيرُ الجَمْعِ بَيْنَ صَبْرِ المُصِيبَةِ وَصَبْرِ النِّعْمَةِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [هود: ٩ - ١١].

وَقَالَ: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣](٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٦٨٠٩).

(٢) وهكذا المؤمن، صبور عند البلاء، شكور عند الرخاء، وشكره عند الرخاء صبر عَلَىٰ النعمة واعتراف بها ووقوف عند حدها، لا يبطر ولا يفعل ما حرم الله «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير إن أصابه ضراء صبر فكان خيرًا له وإن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له» [أخرجه مسلم (٧٦٩٢)] كَمَا فِي الحديث الصحيح فِي «صحيح مسلم». [ابن باز].

وَبِهَذَا وَصَفَ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ مَنْ وَصَفَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ الْمُهَاجِرِينَ حَيْثُ قَالَ:

لَيْسُوا مَفَارِيحَ إِنْ نَالَتْ رِمَاحُهُمُ ... كُثْرًا وَلَيْسُوا مَجَازِيعًا إِذَا نِيلُوا

وَكَذَلِكَ قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ فِي صِفَةِ الْأَنْصَارِ:

لَا فُخُرٌ إِنْ هُمُ أَصَابُوا مِنْ عَدُوِّهِمُ ... وَإِنْ أُصِيبُوا فَلَا خُوَرٌ وَلَا هُلُعُ

وَقَالَ بَعْضُ الْعَرَبِ فِي صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ: «يَغْلِبُ فَلَا يَبْطَرُ وَيُغْلَبُ فَلَا يَضْجَرُ»(١).

وَلَمَّا كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُو النَّاسَ عِنْدَ هَذَيْنِ النَّوْعَيْنِ إِلَىٰ تَعَدِّي الْحُدُودِ بِقُلُوبِهِمْ وَأَصْوَاتِهِمْ وَأَيْدِيهِمْ نَهَىٰ النَّبِيُّ ﷺ عَن ذَلِكَ.

فَقَالَ -لَمَّا قِيلَ لَهُ لَمَّا رَأَىٰ إِبْرَاهِيمَ فِي النَّزْعِ- أَتَبْكِي؟ أَوَلَمْ تَنْهَ عَنِ الْبُكَاءِ؟ فَقَالَ: «إِنَّمَا نَهَيْتُ عَنْ صَوْتَيْنِ أَحْمَقَيْنِ فَاجِرَيْنِ: صَوْتٍ عِنْدَ نِعْمَةٍ لَهْوٍ وَلَعِبٍ وَمَزَامِيرِ الشَّيْطَانِ، وَصَوْتٍ عِنْدَ مُصِيبَةٍ لَطْمِ خُدُودٍ وَشَقِّ جُيُوبٍ وَدُعَاءٍ بِدَعْوَىٰ الْجَاهِلِيَّةِ»(٢) فَجَمَعَ بَيْنَ الصَّوْتَيْنِ(٣).

وَأَمَّا نَهْيُهُ عَنْ ذَلِكَ فِي الْمَصَائِبِ فَمِثْلَ قَوْلِهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَىٰ الْجَاهِلِيَّةِ».

وَقَالَ: «أَنَا بَرِيءٌ مِنَ الْحَالِقَةِ وَالصَّالِقَةِ وَالشَّاقَّةِ»(٤).

---

(١) انظر: «الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ» للقاضي عياض (١/ ٢٤٩).

(٢) أخرجه الترمذي (١٠٠٥)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

(٣) الشيطان له نفختان: عند النعمة وهي البطر والفساد، وعند المصيبة هي الجزع، والإسلام جاء بهذا وهذا، جاء بشكر الله عند النعم، والصبر عَلَىٰ النعمة وعدم تعدي الحدود، والصبر عند المصيبة وعدم الجزع. اهـ. [ابن باز].

(٤) أخرجه البخاري (١٢٩٦)، ومسلم (٢٩٨).

وَقَالَ: «مَا كَانَ مِنَ العَيْنِ وَالقَلْبِ فَمِنَ اللهِ، وَمَا كَانَ مِنَ اليَدِ وَاللِّسَانِ فَمِنَ الشَّيْطَانِ»(١).

وَقَالَ: «إِنَّ اللهَ لَا يُؤَاخِذُ عَلَىٰ دَمْعِ العَيْنِ وَلَا حُزْنِ القَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا أَوْ يَرْحَمُ»، وَأَشَارَ إِلَىٰ لِسَانِهِ(٢).

وَقَالَ: «مَنْ يُنَحْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُعَذَّبُ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ»(٣).

وَاشْتَرَطَ عَلَىٰ النِّسَاءِ فِي البَيْعَةِ أَلَّا يَنُحْنَ، وَقَالَ: «إِنَّ النَّائِحَةَ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، فَإِنَّها تَلْبَسُ يَوْمَ القِيَامَةِ دِرْعًا مِنْ جَرَبٍ وَسِرْبَالًا مِنْ قَطِرَانٍ»(٤).

وَقَالَ فِي الغَلَبَةِ وَالمَصَائِبِ وَالفَرَحِ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»(٥).

وَقَالَ: «إِنَّ أَعَفَّ النَّاسِ قِتلَةً أَهْلُ الإِيمَانِ».

وَقَالَ: «لَا تُمَثِّلُوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا»(٦).

إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا أَمَرَ بِهِ فِي الجِهَادِ مِنَ العَدْلِ وَتَرْكِ العُدْوَانِ اتِّبَاعًا لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٣٧)، وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الجامع» (٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٠٤)، ومسلم (٢١٧٦).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٩١)، ومسلم (٢١٤٨).

(٤) أخرجه مسلم (٢٢٠٣).

(٥) أخرجه مسلم (٥١٧٦).

(٦) أخرجه مسلم (٤٦١٩).

وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة: ١٩٠] (١).

وَنَهَىٰ عَنْ لِبَاسِ الحَرِيرِ وَتَخَتُّمِ الذَّهَبِ وَالشُّرْبِ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَإِطَالَةِ الثِّيَابِ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ السَّرَفِ وَالخُيَلَاءِ فِي النِّعَمِ، وَذَمَّ الَّذِين يَسْتَحِلُّونَ الخَمْرَ وَالحَرِيرَ وَالمَعَازِفَ وَجَعَلَ فِيهِمُ الخَسْفَ وَالمَسْخَ.

وَقَد قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾

[النساء: ٣٦].

وَقَالَ عَنْ قَارُونَ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾

[القصص: ٧٦].

وَهَذِهِ الأُمُورُ الثَّلَاثَةُ مَعَ الصَّبْرِ عَنْ الِاعْتِدَاءِ فِي الشَّهْوَةِ هِيَ جَوَامِعُ هَذَا البَابِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الإِنْسَانَ بَيْنَ مَا يُحِبُّهُ وَيَشْتَهِيهِ وَبَيْنَ مَا يَبْغَضُهُ وَيَكْرَهُهُ، فَهُوَ يَطْلُبُ الأَوَّلَ بِمَحَبَّتِهِ وَشَهْوَتِهِ وَيَدْفَعُ الثَّانِي بِبُغْضِهِ وَنَفْرَتِهِ، وَإِذَا حَصَلَ الأَوَّلُ أَوِ انْدَفَعَ الثَّانِي

(١) يعني: وإن كانوا أعداء، وإن كانوا ظلمة، فلا يعتدي عليهم بما لا يليق، ولهَذَا نهىٰ عَن قتل الوليد وعن التمثيل والغدر إذا أعطىٰ العهود، وإن كانوا أعداءً، لكن عَلَىٰ المؤمن أن يلتزم بحكم الله، فلا يغدر بل يوفي بالعهد، ولا يقتل الوليد، لأنَّه ليس أهلًا لذَلِكَ، وليس مِنَ المكلفين، وهكذا التمثيل لكونه لا يليق، فهو عبث لا وجه له، فلا يُتعمد قطع الأنف والعيون والأيدي والأرجل، بل يقتل قتلة حيث أمكن، فحيث أمكن قتله يقتل، وإذا كان القتل باليد، وكان -أعني- مقدورًا عليه؛ قتل قتلة صالحة بالسيف ونحوه. اهـ.

س: «إن أعف الناس قتلة أهل الإيمان»؟

ج: يعني: أحسنهم وأكملهم، ليس فيها عدوان، وليس فيها ظلم، فالعفيف المتباعد عما حرم الله «فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة» وبعض الناس إذا قدر عذَّب، لا يقتل القتلة الحسنة، بل يعذِّب المقتول، فيقطع أنفه، ويقطع أصابعه، ويقطع رجليه وهو حي حَتَّىٰ يؤذيه، نسأل الله السلامة. اهـ. [ابن باز].

أَوْجَبَ لَهُ فَرَحًا وَسُرُورًا، وَإِنْ حَصَلَ الثَّانِي أَوِ انْدَفَعَ الأَوَّلُ حَصَلَ لَهُ حُزْنٌ، فَهُوَ مُحْتَاجٌ عِنْدَ المَحَبَّةِ وَالشَّهْوَةِ أَنْ يَصْبِرَ عَنْ عُدْوَانِهِمَا، وَعِنْدَ الغَضَبِ وَالنَّفْرَةِ أَنْ يَصْبِرَ عَلَىٰ عُدْوَانِهِمَا، وَعِنْدَ الفَرَحِ أَنْ يَصْبِرَ عَنْ عُدْوَانِهِ، وَعِنْدَ المُصِيبَةِ أَنْ يَصْبِرَ عَنِ الجَزَعِ مِنْهَا.

فَالنَّبِيُّ ﷺ ذَكَرَ الصَّوْتَيْنِ الأَحْمَقَيْنِ الفَاجِرَيْنِ؛ الصَّوْتُ الَّذِي يُوجِبُ الِاعْتِدَاءَ فِي الفَرَحِ حَتَّىٰ يَصِيرَ الإِنْسَانُ فَرِحًا فَخُورًا، وَالصَّوْتُ الَّذِي يُوجِبُ الجَزَعَ عِنْدَ الحُزْنِ حَتَّىٰ يَصِيرَ الإِنْسَانُ هَلُوعًا جَزُوعًا، وَأَمَّا الصَّوْتُ الَّذِي يُثِيرُ الغَضَبَ للهِ كَالأَصْوَاتِ الَّتِي تُقَالُ فِي الجِهَادِ مِنَ الأَشْعَارِ المُنْشَدَةِ فَتِلْكَ لَمْ تَكُنْ بِآلَاتٍ، وَكَذَلِكَ أَصْوَاتُ الشُّهْرَةِ فِي الفَرَحِ فَرُخِّصَ مِنْهَا فِيمَا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِنَ الضَّرْبِ بِالدُّفِّ فِي الأَعْرَاسِ وَالأَفْرَاحِ لِلنِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ.

وَعَامَّةُ الأَشْعَارِ الَّتِي تُنْشَدُ بِالأَصْوَاتِ لِتَحْرِيكِ النُّفُوسِ هِيَ مِنْ هَذِهِ الأَقْسَامِ الأَرْبَعَةِ، أَشْعَارُ المَحَبَّةِ وَهِيَ النَّسِيبُ، وَأَشْعَارُ الغَضَبِ وَالحَمِيَّةِ وَهِيَ الحَمَاسَةُ وَالهِجَاءُ، وَأَشْعَارُ المَصَائِبِ كَالمَرَاثِي، وَأَشْعَارُ النِّعَمِ وَالفَرَحِ وَهِيَ المَدَائِحُ.

وَالشُّعَرَاءُ جَرَتْ عَادَتُهُمْ أَنْ يَمْشُوا مَعَ الطَّبْعِ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٥، ٢٢٦] وَلِهَذَا أَخْبَرَ أَنَّهُمْ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ، وَالغَاوِي: هُوَ الَّذِي يَتَّبِعُ هَوَاهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ(١).

---

(١) الغاوي هو الَّذِي يتبع هواه مع العلم، وقوله «بغَيْر علم» لا يصلح، فالغاوي هو الَّذِي يتبع هواه مع العلم، والضال بداءً ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾ [النجم: ٢] وهَذَا هو الغي، فالغي هو اتباع الهوىٰ وهو يعلم، كعمل اليهود، نعوذ بالله، والضلال تبع أهل الباطل.

«بغير» هذه مصحفة، الصواب «مع العلم» فلا يصلح «بغير علم» ولا يستقيم؛ لأن الغاوي هو الذي يتبع الهوىٰ وهو يعلم، كاليهود وأشباههم، والضال هو الذي عمل بدون علم، ضال مثل ضال الطريق ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾ [النجم: ٢]. اهـ. [ابن باز].

وَهَذَا هُوَ الْغَيُّ، وَهُوَ خِلَافُ الرُّشْدِ، كَمَا أَنَّ الضَّالَّ هُوَ الَّذِي لَا يَعْلَمُ مَصْلَحَتَهُ، وَهُوَ خِلَافُ الْمُهْتَدِي، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ [النجم: ١، ٢].

وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي».

فَلِهَذَا تَجِدُهُمْ يَمْدَحُونَ جِنْسَ الشَّجَاعَةِ وَجِنْسَ السَّمَاحَةِ إِذْ كَانَ عَدَمُ هَذَيْنِ مَذْمُومًا عَلَىٰ الإِطْلَاقِ، وَأَمَّا وُجُودُهُمَا فَفِيهِ تَحْصِيلُ مَقَاصِدِ النُّفُوسِ عَلَىٰ الإِطْلَاقِ، لَكِنَّ الْعَاقِبَةَ فِي ذَلِكَ لِلْمُتَّقِينَ، وَأَمَّا غَيْرُ الْمُتَّقِينَ فَلَهُمْ عَاجِلَةٌ لَا عَاقِبَةَ(١).

وَالْعَاقِبَةُ وَإِنْ كَانَتْ فِي الآخِرَةِ فَتَكُونُ فِي الدُّنْيَا أَيْضًا كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ لَمَّا ذَكَرَ

---

(١) يعني الجود والكرم والشجاعة فِي الباطل ما لها عاقبة، بل عاقبتها خبيثة، لما له مدح فِي الدنيا، لكن الشجاعة فِي الحق، والجود فِي الحق، والإخلاص لله؛ هَذَا ممدوح فِي الدنيا ومأجور فِي الآخرة، له العقبىٰ، وله أيضًا الثناء المقدم والفضل المقدم، بخلاف من كانت شجاعته لغَيْر الله أو كان إنفاقه لغَيْر الله فهَذَا قد يحصل له فِي الدنيا ما يحصل مِنَ الثناء والذكر، ولكن ليس له عاقبة، نسأل الله العافية.

فينبغي للمؤمن أن تكون شجاعته فِي الحق وفي إظهار الحق، فِي الجهاد، فِي الأمْر بالمَعْرُوف، فِي النهي عَن المُنْكَر، فِي ردع الظالم، فِي نصر المظلوم، بالطريقة الَّتي شرعها الله. وهكذا الجود والكرم بالمال يكون فِي محله فِي مواساة الفقير، فِي إعانة المجاهدين، فِي صلة الرحم، فِي أشباه ذَلِكَ مما يرضاه الله، فهَذَا الإنفاق وهَذَا السخاء وهَذِهِ السماحة مما يحبه الله جل وعلا، مع الإخلاص لله ﷻ فِي ذَلِكَ، وأما الشجاعة ليقال، أو الإنفاق ليقال؛ فهَذِهِ الخسارة، ولهَذَا فِي الحديث الصحيح: «يؤتىٰ بالقارئ والمنفق والمجاهد الَّذِين عَمِلوا لغَيْر الله، فيسألون، يقَالَ للعالم والقارئ: لماذا قرأت؟ ولماذا علمت؟ فيقول: قرأت فيك القرآن فيقول الله:» كذبت وتقول الملائكة: كذبت ولكن تعلمت ليقَالَ عالم وقرأت ليقَالَ قارئ فيؤمر به إِلَىٰ النار» [أخرجه الترمذي (٢٣٨٢)، وصححه العلامة الألباني فِي «صحيح وضعيف سنن الترمذي»] وهكذا يقَالَ فِي المنفق، وهكذا يقَال للمجاهد الَّذِي عَمِل لغَيْر الله نسأل الله السلامة. اهـ. [ابن باز].

قِصَّةَ نُوحٍ وَنَجَاتَهُ بِالسَّفِينَةِ: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾ [هود: ٤٨] قَالَ: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [هود: ٤٩].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [البقرة: ١٩٤] (١).

وَالْفُرْقَانُ: أَنْ يُحْمَدَ مِنْ ذَلِكَ مَا حَمِدَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ هُوَ الَّذِي حَمْدُهُ زَيْنٌ وَذَمُّهُ شَيْنٌ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الشُّعَرَاءِ وَالخُطَبَاءِ وَغَيْرِهِمْ، وَلِهَذَا لَمَّا قَالَ القَائِلُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّ حَمْدِي زَيْنٌ، وَذَمِّي شَيْنٌ قَالَ لَهُ: «ذَاكَ اللهُ»(٢)(٣).

---

(١) والمعنىٰ فِي هَذَا: أَنَّ المؤمن قريب أن يجمع الله له بَيْنَ العاقبتين، العاقبة فِي الدنيا بالتوفيق والإعانة والخلف والثناء الحسن وزيادة الخير بسبب عمله الطيب مع ما له فِي الآخرة مِنَ الجنة والنعيم المقيم والخير الكثير، فيكون له عاقبتان، عاقبة عاجلة عَلَىٰ عمله الصالح بتوفيق الله له وهدايته له وبسطه له فِي الرزق وإعلاء ذكره، ثُمَّ عاقبة أخرىٰ فِي الآخرة بالجنة والمنازل العالية.
فإن فاتته فِي الدنيا هَذِهِ العاقبة بأن فُتن أو أصابه مرض أو ذهب ماله لم تفته العاقبة الأخرىٰ فِي الآخرة، فله المنزلة العالية والخير الكثير فِي الآخرة.
أما صاحب الدنيا وصاحب الرياء والمقاصد الأخرىٰ فهَذَا ليس له عاقبة فِي الآخرة، بل له عذاب فِي الآخرة - نسأل الله العافية - وفي الدنيا قد يحصل له شيء، فقد يحصل له فائدة من ثناء الناس أو إعطائه مالًا أو نحو ذَلِكَ ممن يجود عليه أو يثني عليه ولكن ليس له عاقبة فِي الآخرة. وَقَد يجمع له بَيْنَ الأمرين، فلا عاقبة فِي الدنيا ولا عاقبة فِي الآخرة، نسأل الله العافية. اهـ. [ابن باز].

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٤٨٨)، والترمذي (٣٢٦٧)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

(٣) ومعنىٰ «ذاك الله» يعني: هو الَّذِي ذمه يضر الضرر العظيم ومدحه ينفع النفع العظيم، لأن مدحه له العاقبة الحميدة وذمه له العاقبة الوخيمة، أما ذم المخلوقين ومدحهم فأمره أسهل، فمتىٰ استقام العبد عَلَىٰ أمر الله وحفظ حدود الله لم يضره ذم الذامين، ومتىٰ ضيع أمر الله وضيع حدود الله لم

وَاللهُ سُبْحَانَهُ حَمِدَ الشَّجَاعَةَ وَالسَّمَاحَةَ فِي سَبِيلِهِ، كَمَا فِي «الصَّحِيحِ» عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ فَقَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ»(١).

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وَذَلِكَ أَنَّ هَذَا هُوَ المَقْصُودُ الَّذِي خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ لَهُ كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، فَكُلُّ مَا كَانَ لِأَجْلِ الغَايَةِ الَّتِي خَلَقَ لَهُ الخَلْقَ كَانَ مَحْمُودًا عِنْدَ اللهِ وَهُوَ الَّذِي يَبْقَىٰ لِصَاحِبِهِ وَيَنْفَعُهُ اللهُ بِهِ، وَهَذِهِ الأَعْمَالُ هِيَ البَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ، وَلِهَذَا كَانَ النَّاسُ أَرْبَعَةَ أَصْنَافٍ:

- مَنْ يَعْمَلُ للهِ بِشَجَاعَةٍ وَبِسَمَاحَةٍ، فَهَؤُلَاءِ هُمُ المُؤْمِنُونَ المُسْتَحِقُّونَ لِلجَنَّةِ.

- وَمَنْ يَعْمَلُ لِغَيْرِ اللهِ بِشَجَاعَةٍ، وَسَمَاحَةٍ فَهَذَا يَنْتَفِعُ بِذَلِكَ فِي الدُّنْيَا وَلَيْسَ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ.

- وَمَنْ يَعْمَلُ للهِ لَكِنْ بِلَا شَجَاعَةٍ وَلَا سَمَاحَةٍ، فَهَذَا فِيهِ مِنَ النِّفَاقِ وَنَقْصِ الإِيمَانِ بِقَدْرِ ذَلِكَ.

=

ينفعه مدح المادحين، ومصيره إِلَىٰ ما أخبر الله به عَنْهُ مما يستحقه، وإن ضره ذم الذامين بعض الشيء فِي الدنيا أو نفعه مدح المادحين فِي الدنيا بعض النفع لكن ليس له عاقبة، والمدح الَّذِي يزول وينتهي والذم الَّذِي يزول وينتهي ولكن ليس له عاقبة أمره سهل، ولهَذَا قال: «ذاك الله» هو الَّذِي مدحه زين وذمه شين. اهـ. [ابن باز].

(١) أخرجه البخاري (١٢٣)، ومسلم (٥٠٢٨).

- وَمَنْ لَا يَعْمَلُ للهِ وَلَا فِيهِ شَجَاعَةٌ وَلَا سَمَاحَةٌ، فَهَذَا لَيْسَ لَهُ دُنْيَا وَلَا آخِرَةٌ(١).

فَهَذِهِ الأَخْلَاقُ وَالأَفْعَالُ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا المُؤْمِنُ عُمُومًا وَخُصُوصًا فِي أَوْقَاتِ المِحَنِ وَالفِتَنِ الشَّدِيدَةِ، فَإِنَّهُمْ يَحْتَاجُونَ إِلَىٰ صَلَاحِ نُفُوسِهِمْ وَدَفْعِ الذُّنُوبِ عَنْ نُفُوسِهِمْ عِنْدَ المُقْتَضِي لِلفِتْنَةِ عِنْدَهُمْ، وَيَحْتَاجُونَ أَيْضًا إِلَىٰ أَمْرِ غَيْرِهِمْ وَنَهْيِهِ بِحَسَبِ قُدْرَتِهِمْ، وَكُلٌّ مِنْ هَذَيْنِ الأَمْرَيْنِ فِيهِ مِنَ الصُّعُوبَةِ مَا فِيهِ وَإِنْ كَانَ يَسِيرًا عَلَىٰ مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ.

وَهَذَا لِأَنَّ اللهَ أَمَرَ المُؤْمِنِينَ بِالإِيمَانِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ وَأَمَرَهُمْ بِدَعْوَةِ النَّاسِ وَجِهَادِهِمْ عَلَىٰ الإِيمَانِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

وَكَمَا قَالَ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١].

وَكَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة: ٢١].

وَكَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ٧٣].

وَقَالَ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٦](٢).

---

(١) هَذِهِ الأقسام الأربعة وإن كانت واضحة لكنها فائدة جيدة يحسن نقلها لأنَّها فائدة جيدة -وإن كانت معلومة- جاء بها هَذَا الإمام. اهـ. [ابن باز].

(٢) وهَذَا من توفيق الله للعبد، فإذا وفق الله العبد استعمله فِي هَذَا الخير وصار جندًا من جنوده فِي الدعوة =

وَلَمَّا كَانَ فِي الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ وَالجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ مِن الِابْتِلَاءِ وَالمِحَنِ مَا يَتَعَرَّضُ بِهِ المَرْءُ لِلفِتْنَةِ؛ صَارَ فِي النَّاسِ مَنْ يَتَعَلَّلُ لِتَرْكِ مَا وَجَبَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ بِأَنَّهُ يَطْلُبُ السَّلَامَةَ مِنَ الفِتْنَةِ.

كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ عَنِ المُنَافِقِينَ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ [التوبة: ٤٩] الآيَةَ، وَقَدْ ذَكَرُوا فِي التَّفْسِيرِ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي الجَدِّ بْنِ قَيْسٍ لَمَّا أَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِالتَّجَهُّزِ لِغَزْوِ الرُّومِ وَأَظُنُّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لَهُ: «هَلْ لَكَ فِي نِسَاءِ بَنِي الأَصْفَرِ»؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي رَجُلٌ لَا أَصْبِرُ عَلَىٰ النِّسَاءِ وَإِنِّي أَخَافُ الفِتْنَةَ بِنِسَاءِ بَنِي الأَصْفَرِ، فَائْذَنْ وَلَا تَفْتِنِّي (١)(٢).

وَهَذَا الجَدُّ هُوَ الَّذِي تَخَلَّفَ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ وَاسْتَتَرَ بِجَمَلٍ

=

إِلَىٰ الله والأَمْر بالمَعْرُوف والنهي عَن المُنْكَر عَلَىٰ الوجه الَّذِي شرعه الله، فينفق ويصبر فِي هَذَا السبيل ويشجع غيره لهَذَا السبيل، فيكون ممن اختاره الله لهَذَا الأَمْر وجعله من جنده ومن حزبه المفلحين بسبب صبره عَلَىٰ طاعة الله وقيامه بأمر الله وإحسانه إِلَىٰ عباد الله ودعوتهم إِلَىٰ الخير وأمرهم بالمَعْرُوف ونهيهم عَن المُنْكَر، وهَذِهِ صفة الأخيار الَّذِين هم من أولياء الله ﷻ.

والواجب عَلَىٰ أهل العلم فِي هَذَا الخير غَيْر الواجب عَلَىٰ الناس، فالواجب عَلَىٰ طلبة العلم مِنَ الدعوة والتوجيه والإرشاد والأَمْر بالمَعْرُوف والنهي عَن المُنْكَر أكثر مِنَ الواجب عَلَىٰ غيرهم، لأَنَّ الله أعطاهم مِنَ النعمة ما لم يعط غيرهم، وأعطاهم مِنَ العلم ما لم يعط غيرهم، فعليهم مِنَ الواجب أكثر، لكن مع العناية بالحكمة وتقديم الأمور ووضع الأشياء فِي مواضعها حَتَّىٰ تحصل الفائدة فِي دعوته وأمره ونهيه ونحو ذَلِكَ، مع تحري الصبر عَلَىٰ ما قد يصيبه مِنَ الأذىٰ والكلام، وبذَلِكَ يرفعه الله الدرجات ويكون له نصيب وافر من اتباع الرسل والسير عَلَىٰ منهاجهم حسب صبره وعلمه وفضله وتقواه لله وقيامه بأمره، ولاسيما فِي أوقات الغربة كهَذِهِ الأوقات فِي هَذَا العصر وفي غالب الدنيا، فالمسلمون وغَيْر المسلمين فِي أشد الحاجة إِلَىٰ الدعوة بالحكمة والكلام الطيب والأسلوب الحسن والأدلة الواضحة والصبر عَلَىٰ الأذىٰ. اهـ. [ابن باز].

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢/ ٢٧٥)، وضعفه العلامة الألباني في «فقه السيرة» (٤٠٦).

(٢) «هل لك فِي نساء بني الأصفر»؟ يعني غزو الروم وقتالهم وسبي نساءهم. اهـ. [ابن باز].

أَحْمَرَ، وَجَاءَ فِيهِ الحَدِيثُ أَنَّ كُلَّهُمْ مَغْفُورٌ لَهُ إِلَّا صَاحِبَ الجَمَلِ الأَحْمَرِ(١)، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ﴾ [التوبة: ٤٩]، يَقُولُ: إِنَّهُ طَلَبَ القُعُودَ لِيَسْلَمَ مِنْ فِتْنَةِ النِّسَاءِ فَلَا يَفْتَتِنُ بِهِنَّ فَيَحْتَاجُ إِلَىٰ الاحْتِرَازِ مِنَ المَحْظُورِ وَمُجَاهَدَةِ نَفْسِهِ عَنْهُ فَيَتَعَذَّبُ بِذَلِكَ أَوْ يُوَاقِعُهُ فَيَأْثَمُ، فَإِنَّ مَنْ رَأَىٰ الصُّوَرَ الجَمِيلَةَ وَأَحَبَّهَا فَإِنْ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْهَا إِمَّا لِتَحْرِيمِ الشَّارِعِ وَإِمَّا لِلعَجْزِ عَنْهَا تَعَذَّبَ قَلْبُهُ، وَإِنْ قَدَرَ عَلَيْهَا وَفَعَلَ المَحْظُورَ هَلَكَ، وَفِي الحَلَالِ مِنْ ذَلِكَ مِنْ مُعَالَجَةِ النِّسَاءِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ.

فَهَذَا وَجْهُ قَوْلِهِ ﴿وَلَا تَفْتِنِّيٓ ﴾ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ﴾، يَقُولُ: إِنَّ نَفْسَ إِعْرَاضِهِ عَنِ الجِهَادِ الوَاجِبِ وَنُكُولَهُ عَنْهُ وَضَعْفَ إِيمَانِهِ وَمَرَضَ قَلْبِهِ الَّذِي زَيَّنَ لَهُ تَرْكَ الجِهَادِ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ قَدْ سَقَطَ فِيهَا، فَكَيْفَ يَطْلُبُ التَّخَلُّصَ مِنْ فِتْنَةٍ صَغِيرَةٍ لَمْ تُصِبْهُ بِوُقُوعِهِ فِي فِتْنَةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ أَصَابَتْهُ؟ وَاللهُ تَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال: ٣٩]، فَمَنْ تَرَكَ القِتَالَ الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِهِ لِئَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَهُوَ فِي الفِتْنَةِ سَاقِطٌ بِمَا وَقَعَ فِيهِ مِنْ رَيْبِ قَلْبِهِ وَمَرَضِ فُؤَادِهِ وَتَرْكِهِ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ مِنَ الجِهَادِ، فَتَدَبَّرْ هَذَا فَإِنَّ هَذَا مَقَامٌ خَطِرٌ.

وَالنَّاسُ فِيهِ عَلَىٰ قِسْمَيْنِ: قِسْمٌ يَأْمُرُونَ وَيَنْهَوْنَ وَيُقَاتِلُونَ طَلَبًا لِإِزَالَةِ الفِتْنَةِ - زَعَمُوا -، وَيَكُونُ فِعْلُهُمْ ذَلِكَ أَعْظَمَ فِتْنَةً، كَالمُقْتَتِلِينَ فِي الفِتَنِ الوَاقِعَةِ بَيْنَ الأُمَّةِ، مِثْلُ الخَوَارِجِ.

وَأَقْوَامٌ يَنْكُلُونَ عَنِ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالقِتَالِ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ وَتَكُونُ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا لِئَلَّا يُفْتَنُوا وَهُمْ قَدْ سَقَطُوا فِي الفِتْنَةِ، وَهَذِهِ الفِتْنَةُ المَذْكُورَةُ فِي

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٦٣)، وضعفه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

سُورَةِ بَرَاءَةَ دَخَلَ فِيهَا الافْتِتَانُ بِالصُّوَرِ الجَمِيلَةِ، فَإِنَّها سَبَبُ نُزُولِ الآيَةِ.

وَهَذِهِ حَالُ كَثِيرٍ مِنَ المُتَدَيِّنَةِ، يَتْرُكُونَ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَمْرٍ وَنَهْيٍ وَجِهَادٍ يَكُونُ بِهِ الدِّينُ للهِ وَتَكُونُ بِهِ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا لِئلَّا يُفْتَنُوا بِجِنْسِ الشَّهَوَاتِ، وَهُمْ قَدْ وَقَعُوا فِي الفِتْنَةِ الَّتي هِيَ أَعْظَمُ مِمَّا زَعَمُوا أَنَّهُمْ فَرُّوا مِنْهُ، وَإِنَّمَا الوَاجِبَةُ عَلَيْهِمْ القِيَامُ بِالوَاجِبِ مِنَ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَتَرْكِ المَحْظُورِ وَالاسْتِعَانَةِ بِاللهِ عَلَىٰ الأَمْرَيْنِ(١).

وَلَوْ فُرِضَ أَنَّ فِعْلَ الوَاجِبِ وَتَرْكَ المَحْظُورِ وَهُمَا مُتَلَازِمَانِ وَإِنَّمَا تَرَكُوا ذَلِكَ لِكَوْنِ نُفُوسِهِمْ لَا تُطَاوِعُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ فِعْلِهِمَا جَمِيعًا أَوْ تَرْكُهُمَا جَمِيعًا، مِثْلُ كَثِيرٍ مِمَّنْ يُحِبُّ الرِّيَاسَةَ أَوِ المَالَ أَوْ شَهَوَاتِ الغَيِّ، فَإِنَّهُ إِذَا فَعَلَ مَا وَجَبَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرٍ وَنَهْيٍ وَجِهَادٍ وَإِمَارَةٍ وَنَحْوَ ذَلِكَ فَلَابُدَّ أَنْ يَفْعَلَ مَعَهَا شَيْئًا مِنَ المَحْظُورَاتِ، فَالوَاجِبُ عَلَيْهِ

---

(١) ومعناه: أَنَّهم - أي: المتدينة - يتظاهرون بشيء يتحسنون به أمام الناس أَنَّه ورع وأَنَّه خوف مِنَ الوقوع فِي المحرمات، وَقَد يقعون فيما هو أشد منه.

وهَذَا باب عظيم يقع فِيهِ كثير مِنَ الناس، فمن الناس مَن يترك الدعوة إِلَىٰ الله ويقول: أخشىٰ أني لا أقوم بالواجب، وآخر يقول: لا أستطيع أن آمر بمعروف ولا أنهىٰ عَن منكر أخشىٰ أن أقصر وأخشىٰ كذا، والآخر يقول: لا أستطيع الجهاد أخشىٰ أني أنكل وأخشىٰ أني أضعف وقت الجهاد لأني أقصر، وكل هَذَا من تزيين الشيطان وتلبيسه، والواجب عَلَىٰ المؤمن أن يعمل ويستعين بالله ويترك الظن السوء ويترك العجز والكسل، ويدعو إِلَىٰ الله ويجاهد نفسه ويأمر بالمَعْرُوف وينهىٰ عَن المُنْكَر ويجاهد نفسه عَلَىٰ أن يفعل وعَلَىٰ أن يمتثل، ويكون أسبق الناس إِلَىٰ الخير وإِلَىٰ ترك الشر.

وهكذا الجهاد يجاهد ويشارك المؤمنين ويستعين بالله ويسأل ربه العون والتوفيق وأن يعينه عَلَىٰ الجهاد.

وهكذا فِي أمور أخرىٰ مثل بره لوالديه وصلة أرحامه ونصر المظلوم والإعانة عَلَىٰ فعل الخيرات، فلا يجزم، ولا يقول أخاف أخاف، فإِنَّ الناس إذا فعلوا هَذَا وكل واحد قَالَ أخاف، عُطِّلت الأوامر والنواهي وعُطل الجهاد وعُطِّل الأمْر بالمَعْرُوف والنهي عَن المُنْكَر وعُطِّلت الدعوة إِلَىٰ الله.

فالواجب عَلَىٰ المؤمن أن تكون همته عالية وأن يعمل ويجتهد ويتقي الله ويسأل ربه العون، فلا يكسل ولا يضعُف فيترك الحبل عَلَىٰ الغارب. اهـ. [ابن باز].

أَنْ يَنْظُرَ أَغْلَبَ الأَمْرَيْنِ فَإِنْ كَانَ المَأْمُورُ أَعْظَمَ أَجْرًا مِنْ تَرْكِ ذَلِكَ المَحْظُورِ لَمْ يَتْرُكْ ذَلِكَ لِمَا يَخَافُ أَنْ يَقْتَرِنَ بِهِ مَا هُوَ دونَهُ فِي المَفْسَدَةِ، وَإِنْ كَانَ تَرْكُ المَحْظُورِ أَعْظَمَ أَجْرًا لَمْ يُفَوِّتْ ذَلِكَ بِرَجَاءِ ثَوَابِ فِعْلٍ وَاجِبٍ يَكُونُ دُونَ ذَلِكَ، فَذَلِكَ يَكُونُ بِمَا يَجْتَمِعُ لَهُ مِنَ الأَمْرَيْنِ مِنَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، فَهَذَا هَذَا، وَتَفْصِيلُ ذَلِكَ يَطُولُ(١).

وَكُلُّ بَشَرٍ عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ فَلَابُدَّ لَهُ مِنْ أَمْرٍ وَنَهْيٍ، وَلَابُدَّ أَنْ يَأْمُرَ وَيَنْهَىٰ، حَتَّىٰ لَوْ أَنَّهُ وَحْدَهُ لَكَانَ يَأْمُرُ نَفْسَهُ وَيَنْهَاهَا إِمَّا بِمَعْرُوفٍ وَإِمَّا بِمُنْكَرٍ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

فَإِنَّ الأَمْرَ هُوَ طَلَبُ الفِعْلِ وَإِرَادَتُهُ، وَالنَّهْيَ طَلَبُ التَّرْكِ وَإِرَادَتُهُ، وَلَابُدَّ لِكُلِّ حَيٍّ مِنْ إِرَادَةٍ وَطَلَبٍ فِي نَفْسِهِ يَقْتَضِي بِهِمَا فِعْلَ نَفْسِهِ وَيَقْتَضِي بِهِمَا فِعْلَ غَيْرِهِ إِذَا أَمْكَنَ ذَلِكَ، فَإِنَّ الإِنْسَانَ حَيٌّ يَتَحَرَّكُ بِإِرَادَتِهِ، وَبَنُو آدَمَ لَا يَعِيشُونَ إِلَّا بِاجْتِمَاعِ بَعْضِهِمْ مَعَ بَعْضٍ، وَإِذَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ فَصَاعِدًا فَلَابُدَّ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا ائْتِمَارٌ بِأَمْرٍ وَتَنَاهٍ

---

(١) كأنَّ المقام يقتضي أن تكون العبارة: «ولو فرض أنَّه فعل الواجب...» وكأن هناك سقطًا، ولو كنت العبارة «ولو فرض أنَّه ترك فعل الواجب أو فعل المحظور» كانت العبارة تناسبه، فالعبارة فيها خلل.
والخلاصة من هَذَا الكلام: أن الداعي إِلَىٰ الله الآمر بالمَعْرُوف والناهي عَن المُنْكَر والمجاهد يتحرىٰ ما هو الأقرب إِلَىٰ مرضاة الله وما هو الأقرب إِلَىٰ صلاح العباد، فيتحرىٰ ويجتهد، فحيث رأىٰ هَذَا الواجب - الَّذِي يرىٰ أَنَّه واجب - يترتب عَلَيْهِ محظور أكبر ترك ذَلِكَ لتلافي المحظور الَّذِي يكون أكبر من فعله لهَذَا الواجب، وهكذا العكس، فلو رأىٰ أن عمله يترتب عَلَيْهِ محظور أكبر وهو يعتقد أَنَّه هَذَا المحظور إذا فعل كذا وكذا وُجِد فإنَّه يجتنب ذَلِكَ الَّذِي يريد فعله، وإن كَانَ يستحسنه، وإن كَانَ يرىٰ أَنَّه طيب، إذا كَانَ يترتب عَلَيْهِ محظور أكبر وضرر عَلَىٰ المسلمين، فهو يتحرىٰ ترك أشد الأمرين خطرًا وفعل ما هو أوجب الأمرين وإن فات الآخر.
هَذَا هو القاعدة: ترك إحدىٰ المصلحتين لتحصيل الكبرىٰ وارتكاب أدنىٰ المفسدتين لتفويت المفسدة الكبرىٰ.
فلابد في الجهاد والأمر والنهي وغير ذلك من مراعاة هذه القواعد. اهـ. [ابن باز].

عَنْ أَمْرٍ، وَلِهَذَا كَانَ أَقَلُّ الجَمَاعَةِ فِي الصَّلَاةِ اثْنَيْنِ، كَمَا قِيلَ: الاثْنَانِ فَمَا فَوْقَهُمَا جَمَاعَةٌ، لَكِنْ لَمَّا كَانَ ذَلِكَ اشْتِرَاكًا فِي مُجَرَّدِ الصَّلَاةِ حَصَلَ بِاثْنَيْنِ أَحَدُهُمَا إِمَامٌ وَالآخَرُ مَأْمُومٌ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لمَالِكِ بْنِ الحُوَيْرِثِ وَصَاحِبِهِ رضي الله عنهما: «إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَأَذِّنَا وَأَقِيمَا وَلْيَؤُمَّكُمَا أَكْبَرُكُمَا»(١) وَكَانَا مُتَقَارِبَيْنِ فِي القِرَاءَةِ.

وَأَمَّا فِي الأُمُورِ العَادِيَّةِ فَفِي «السُّنَنِ» أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «لَا يَحِلُّ لِثَلَاثَةٍ يَكُونُونَ فِي سَفَرٍ إِلَّا أَمَّرُوا عَلَيْهِمْ أَحَدَهُمْ»(٢).

وَإِذا كَانَ الأَمْرُ وَالنَّهْيُ مِنْ لَوَازِمِ وُجُودِ بَنِي آدَمَ، فَمَنْ لَمْ يَأْمُرْ بِالمَعْرُوفِ الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ وَيَنْهَ عَنِ المُنْكَرِ الَّذِي نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ، وَيُؤْمَرُ بِالمَعْرُوفِ الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ، وَيُنْهَ عَنِ المُنْكَرِ الَّذِي نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ، وَإِلَّا فَلَابُدَّ مِنْ أَنْ يَأْمُرَ وَيَنْهَىٰ وَيُؤْمَرَ وَيُنْهَىٰ إِمَّا بِمَا يُضَادُّ ذَلِكَ، وَإِمَّا بِمَا يَشْتَرِكُ فِيهِ الحَقُّ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ بِالبَاطِلِ الَّذِي لَمْ يُنْزِلْهُ اللهُ(٣).

- وَإِذَا اتُّخِذَ ذَلِكَ دِينًا كَانَ دِينًا مُبْتَدَعًا ضَالًّا بَاطِلًا.

وَهَذَا كَمَا أَنَّ كُلَّ بَشَرٍ فَإِنَّهُ حَيٌّ مُتَحَرِّكٌ بِإِرَادَتِهِ هَمَّامٌ حَارِثٌ، فَمَنْ لَمْ تَكُنْ نِيَّتُهُ صَالِحَةً وَعَمَلُهُ عَمَلًا صَالِحًا لِوَجْهِ اللهِ، وَإِلَّا كَانَ عَمَلًا فَاسِدًا أَوْ لِغَيْرِ وَجْهِ اللهِ وَهُوَ البَاطِلُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾ [الليل: ٤].

وَهَذِهِ الأَعْمَالُ كُلُّهَا بَاطِلَةٌ مِنْ جِنْسِ أَعْمَالِ الكُفَّارِ: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝١﴾ [محمد: ١].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٥)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٦)، وضعفه العلامة الألباني في «الإرواء» (٦/ ٣٥١).

(٣) يعني: الَّذِي لم ينزل الله شريعته، فالباطل ما أنزل الله شرعيته بل أنزل النهي عَنْهُ كالبدع، فهَذِهِ البدع ما أنزلها الله ولم يشرعها فهي باطلة. اهـ. [ابن باز].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩﴾ [النور: ٣٩].

وَقَالَ: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣﴾ [الفرقان: ٢٣].

وَقَد أَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ وَطَاعَةِ أُولِي الأَمْرِ مِنَ المُؤْمِنِينَ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: ٥٩].

وَأُولُو الأَمْرِ أَصْحَابُ الأَمْرِ وَذَوُوهُ وَهُمُ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ وَيَنْهَوْنَهُمْ، وَذَلِكَ يَشْتَرِكُ فِيهِ أَهْلُ اليَدِ وَالقُدْرَةِ وَأَهْلُ العِلْمِ وَالكَلَامِ، فَلِهَذَا كَانَ أُولُو الأَمْرِ صِنْفَيْنِ: العُلَمَاءُ وَالأُمَرَاءُ، فَإِذَا صَلَحُوا صَلَحَ النَّاسُ وَإِذَا فَسَدُوا فَسَدَ النَّاسُ.

كَمَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِلأَحْمَسِيَّةِ لَمَّا سَأَلَتْهُ: «مَا بَقَاؤُنَا عَلَىٰ هَذَا الأَمْرِ الصَّالِحِ؟ قَالَ: مَا اسْتَقَامَتْ لَكُمْ أَئِمَّتُكُمْ»(١).

وَيَدْخُلُ فِيهِمُ المُلُوكُ وَالمَشَايِخُ وَأَهْلُ الدِّيوَانِ وَكُلُّ مَنْ كَانَ مَتْبُوعًا فَإِنَّهُ مِنْ أُولِي الأَمْرِ(٢).

---

(١) والأئمة هم الأمراء والعلماء وهم أولو الأمر، يجب أن يأمروا بأمر الله وينهوا عَن نهي الله، ويجب عَلَىٰ الناس أن يسمعوا لهم ويطيعوا فيما يأمرونهم بأمر الله وينهونهم عَن نهي الله، وبذَلِكَ تصلح أمورهم، فإذا أخل هؤلاء أو هؤلاء فسد الأمر، فإذا لم يأمر ولاة الأمور بالخير وينهوا عَن الشر، أو أمروا ونهوا ولم يُستجَب لهم فسدت الأمور، والله المستعان. اهـ. [ابن باز].

(٢) يعني: أمراء القرىٰ وأمراء المدن وشيوخ القبائل وكل إنسان متبوع كمدير دائرة فهَذَا متبوع، وأمير عَلَىٰ شيء له أتباعه وله أعوانه، والمقصود: كل من له أعوان وله أتباع يَنصَاعون ويتبعون أمره يجب عَلَيْهِ

وَعَلَىٰ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ أَنْ يَأْمُرَ بِمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَيَنْهَىٰ عَمَّا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ، وَعَلَىٰ كُلِّ وَاحِدٍ مِمَّنْ عَلَيْهِ طَاعَتُهُ أَنْ يُطِيعَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ وَلَا يُطِيعُهُ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ.

كَمَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حِينَ تَوَلَّىٰ أَمْرَ المُسْلِمِينَ وَخَطَبَهُمْ فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ: «أَيُّهَا النَّاسُ، القَوِيُّ فِيكُمُ الضَّعِيفُ عِنْدِي حَتَّىٰ آخُذَ مِنْهُ الحَقَّ، وَالضَّعِيفُ فِيكُمُ القَوِيُّ عِنْدِي حَتَّىٰ آخُذَ لَهُ الحَقَّ، أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَإِذَا عَصَيْتُ اللهَ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ»(١)(٢).

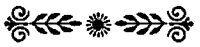

=

هذا، يجب عَلَيْهِ أن يأمر بأمر الله وينهىٰ عَن نهي الله، ويجب أن يطاع فِي المَعْرُوف بما ييسر. اهـ. [ابن باز].

(١) أخرجه عبد الرزاق (٢٠٧٠٢).

(٢) «فلا طاعة لي عليكم» يعني فِي المعصية الَّتي عصاها، وليس معناه إزالة الولاية، وأن يطاع فِي طاعة الله ولا يطاع فِي معاصي الله مع بقاء الولاية وعدم جواز الخروج ما لم يوجد كفر بواح. اهـ. [ابن باز].

فصل: [شروط قبول الأقوال والأفعال]

وَإِذَا كَانَتْ جَمِيعُ الحَسَنَاتِ لَابُدَّ فِيهَا مِنْ شَيْئَيْنِ: أَنْ يُرَادَ بِهَا وَجْهُ اللهِ وَأَنْ تَكُونَ مُوَافِقَةً لِلشَّرِيعَةِ، فَهَذَا فِي الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ فِي الكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ فِي الأُمُورِ العِلْمِيَّةِ وَالأُمُورِ العَمَلِيَّةِ العَادِيَّةِ.

وَلِهَذَا؛ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ» عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ أَوَّلَ ثَلَاثَةٍ تُسْجَرُ بِهِمُ جَهَنَّمَ رَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ القُرْآنَ وَأَقْرَأَهُ لِيَقُولَ النَّاسُ هُوَ عَالِمٌ وَقَارِئٌ وَرَجُلٌ قَاتَلَ وَجَاهَدَ لِيَقُولَ النَّاسُ هُوَ شُجَاعٌ وَجَرِيءٌ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ وَأَعْطَىٰ لِيَقُولَ النَّاسُ: هُوَ جَوَادٌ وَسَخِيٌّ(١)، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الرِّيَاءَ وَالسُّمْعَةَ هُمْ بِإِزَاءِ الثَّلَاثَةِ الَّذِين بَعْدَ النَّبِيِّينَ مِنَ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ؛ فَإِنَّ مَنْ تَعَلَّمَ العِلْمَ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ رُسُلَهُ وَعَلَّمَهُ لِوَجْهِ اللهِ كَانَ صِدِّيقًا، وَمَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا وَقُتِلَ كَانَ شَهِيدًا، وَمَنْ تَصَدَّقَ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ كَانَ صَالِحًا.

ولِهَذَا؛ يَسْأَلُ المُفَرِّطُ فِي مَالِهِ الرَّجْعَةَ وَقْتَ المَوْتِ.

كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «مَنْ أُعْطِيَ مَالًا فَلَمْ يَحُجَّ مِنْهُ وَلَمْ يُزَكِّ سَأَلَ الرَّجْعَةَ وَقْتَ المَوْتِ وَقَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ [المنافقون: ١٠]»(٢).

فَفِي هَذِهِ الأُمُورِ العِلْمِيَّةِ الكَلَامِيَّةِ يَحْتَاجُ المُخْبِرُ بِهَا أَنْ يَكُونَ مَا يُخْبِرُ بِهِ عَنِ اللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ حَقًّا وَصَوَابًا، وَمَا يَأْمُرُ بِهِ وَمَا يَنْهَىٰ عَنْهُ كَمَا

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٨٢)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٤١٢) موقوفًا علىٰ ابن عباس، ورواه الطبراني في «الكبير» مرفوعًا (١٢/ ١١٤).

جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ عَنِ اللهِ، فَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ المُوَافِقُ لِلسُّنَّةِ وَالشَّرِيعَةِ المُتَّبِعُ لِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، كَمَا أَنَّ العِبَادَاتِ الَّتِي يَتَعَبَّدُ العِبَادُ بِهَا إِذَا كَانَتْ مِمَّا شَرَعَهُ اللهُ وَأَمَرَ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ كَانَتْ حَقًّا صَوَابًا مُوَافِقًا لِمَا بَعَثَ اللهُ بِهِ رُسُلَهُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ مِنَ القِسْمَيْنِ كَانَ مِنَ البَاطِلِ وَالبِدَعِ المُضِلَّةِ وَالجَهْلِ، وَإِنْ كَانَ يُسَمِّيهِ عُلُومًا وَمَعْقُولَاتٍ وَعِبَادَاتٍ وَمُجَاهَدَاتٍ وَأَذْوَاقًا وَمَقَامَاتٍ(١).

وَيَحْتَاجُ أَيْضًا أَنْ يُؤْمَرَ بِذَلِكَ لِأَمْرِ اللهِ بِهِ، وَيُنْهَىٰ عَنْهُ لِنَهْيِ اللهِ عَنْهُ، وَيُخْبَرُ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ لِأَنَّهُ حَقٌّ وَإِيمَانٌ وَهُدًىٰ كَمَا أَخْبَرَتْ بِهِ الرُّسُلُ، كَمَا تَحْتَاجُ العِبَادَةُ إِلَىٰ أَنْ يُقْصَدَ بِهَا وَجْهُ اللهِ، فَإِذَا قِيلَ ذَلِكَ لِاتِّبَاعِ الهَوَىٰ وَالحَمِيَّةِ أَوْ لِإِظْهَارِ العِلْمِ وَالفَضِيلَةِ لَوْ لِطَلَبِ السُّمْعَةِ وَالرِّيَاءِ كَانَ بِمَنْزِلَةِ المُقَاتِلِ شَجَاعَةً وَحَمِيَّةً وَرِيَاءً.

وَمِنْ هُنَا يَتَبَيَّنُ لَكَ مَا وَقَعَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ وَالمَقَالِ، وَأَهْلِ العِبَادَةِ وَالحَالِ، وَأَهْلِ الحَرْبِ وَالقِتَالِ، مِنْ لَبْسِ الحَقِّ بِالبَاطِلِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأُصُولِ، فَكَثِيرًا مَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ مِنَ الأَقْوَالِ مَا هُوَ خِلَافُ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَوْ مَا يَتَضَمَّنُ خِلَافَ السُّنَّةِ

---

(١) والمعنىٰ فِي ذَلِكَ: أن كُلَّ العلوم الَّتي ليست عَلَىٰ أساس شرعي هي جهل، وقصور أعمال ليست عَلَىٰ علم وعَلَىٰ بصيرة فهي جهل، وإنما تنفع العلوم وتنفع الأعمال إذا كانت عَن علم وعن بصيرة موافقة للشرع، وعن إخلاص لله ونية طيبة حَتَّىٰ تنفعه علومه وتنفعه أعماله.

فالعلوم الَّتي لا أساس لها مِنَ الشرع جهل وإن نفعته فِي الدنيا، فهي جهل لأنَّها لم تُعِنه عَلَىٰ طاعة الله ولم تجعله من عباد الله الصالحين.

وهكذا الأعمال الَّتي يفعلها رياء وسمعة أو عَلَىٰ غَيْر علم تضره ولا تنفعه، وإنما ينفعه علمه وعمله إذا كَانَ لله وكان مطابقًا لشريعة الله وما جاء به رسول الله عَلَيْهِ الصلاة والسلام.

فالَّذِي يقرأ ويتعلم لغَيْر الله يضره ذَلِكَ، أو يقرأ ويتعلم ولا يعمل يضره ذَلِكَ كاليهود، ومن يعمل عَلَىٰ غَيْر الشريعة يكون مبتدعًا، ومن يعمل عَلَىٰ الشريعة لكن لغَيْر الله، بل للرياء، يكون أيضًا مبطلًا ضالًّا، نسأل الله السلامة.

فلَابُدَّ من علم نافع ولَابُدَّ من نية صالحة، ولَابُدَّ من عمل صالح موافق للشرع. اهـ. [ابن باز].

وَوِفَاقَهَا، وَكَثِيرًا مَا يَتَعَبَّدُ هَؤُلَاءِ بِعِبَادَاتٍ لَمْ يَأْمُرِ اللهُ بِهَا، بَلْ قَدْ نَهَىٰ عَنْهَا أَوْ مَا يَتَضَمَّنُ مَشْرُوعًا وَمَحْظُورًا، وَكَثِيرًا مَا يُقَاتِلُ هَؤُلَاءِ قِتَالًا مُخَالِفًا لِلقِتَالِ المَأْمُورِ بِهِ أَوْ مُتَضَمِّنًا لمَأْمُورٍ بِهِ وَمَحْظُورٍ.

ثُمَّ كُلٌّ مِنَ الأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ المَأْمُورِ بِهِ وَالمَحْظُورِ وَالمُشْتَمِلِ عَلَىٰ الأَمْرَيْنِ، قَدْ يَكُونُ لِصَاحِبِهِ نِيَّةٌ حَسَنَةٌ، وَقَدْ يَكُونُ مُتَّبِعًا لِهَوَاهُ، وَقَدْ يَجْتَمِعُ لَهُ هَذَا وَهَذَا.

فَهَذِهِ تِسْعَةُ أَقْسَامٍ فِي هَذِهِ الأُمُورِ فِي الأَمْوَالِ المُنْفَقَةِ عَلَيْهَا مِنَ الأَمْوَالِ السُّلْطَانِيَّةِ الفَيْءِ وَغَيْرِهِ، وَالأَمْوَالِ المَوْقُوفَةِ، وَالأَمْوَالِ المُوصَىٰ بِهَا، وَالأَمْوَالِ المَنْذُورَةِ، وَأَنْوَاعِ العَطَايَا وَالصَّدَقَاتِ وَالصِّلَاتِ، وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ لَبْسِ الحَقِّ بِالبَاطِلِ وَخَلْطِ عَمَلٍ صَالِحٍ وَآخَرَ سَيِّئٍ. وَالسَّيِّئُ مِنْ ذَلِكَ قَدْ يَكُونُ صَاحِبُهُ مُخْطِئًا أَوْ نَاسِيًا مَغْفُورًا لَهُ كَالمُجْتَهِدِ المُخْطِئِ الَّذِي لَهُ أَجْرٌ وَخَطَؤُهُ مَغْفُورٌ لَهُ، وَقَدْ يَكُونُ صَغِيرًا مُكَفَّرًا بِاجْتِنَابِ الكَبَائِرِ، وَقَدْ يَكُونُ مَغْفُورًا بِتَوْبَةٍ أَوْ بِحَسَنَاتٍ تَمْحُو السَّيِّئَاتِ، أَوْ مُكَفَّرًا بِمَصَائِبِ الدُّنْيَا وَنَحْوِ ذَلِكَ، إِلَّا أَنَّ دِينَ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ وَبَعَثَ بِهِ رُسُلَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ إِرَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ بِالعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَهَذَا هُوَ الإِسْلَامُ العَامُّ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ أَحَدٍ غَيْرَهُ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٨، ١٩].

وَالإِسْلَامُ يَجْمَعُ مَعْنَيَيْنِ: أَحَدُهُمَا: الاسْتِسْلَامُ وَالانْقِيَادُ فَلَا يَكُونُ مُتَكَبِّرًا.

وَالثَّانِي: الإِخْلَاصُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ [الزمر: ٢٩]، فَلَا يَكُونُ مُشْتَرَكًا، وَهُوَ أَنْ يُسْلِمَ العَبْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ

عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٠ - ١٣٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦١ - ١٦٣].

وَالإِسْلَامُ يُسْتَعْمَلُ لَازِمًا وَمُعَدًّى بِحَرْفِ اللَّامِ، مِثْلُ مَا ذُكِرَ فِي هَذِهِ الآيَاتِ، وَمِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل: ٤٤].

وَمِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزمر: ٥٤].

وَمِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران: ٨٣].

وَمِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنعام: ٧١، ٧٢].

وَيُسْتَعْمَلُ مُتَعَدِّيًا مَقْرُونًا بِالإِحْسَانِ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: ١١١، ١١٢].

وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء: ١٢٥].

فَقَدْ أَنْكَرَ اللهُ أَنْ يَكُونَ دِينٌ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا الدِّينِ، هُوَ إِسْلَامُ الوَجْهِ للهِ مَعَ الإِحْسَانِ وَأَخْبَرَ أَنَّهُ كُلُّ ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: ١١٢] أَثْبَتَ هَذِهِ الكَلِمَةَ الجَامِعَةَ وَالقَضِيَّةَ العَامَّةَ رَدًّا لِمَا زَعَمَهُ مَنْ زَعَمَهُ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا مُتَهَوِّدٌ أَوْ مُتَنَصِّرٌ، وَهَذَانِ الوَصْفَانِ وَهُمَا إِسْلَامُ الوَجْهِ للهِ وَالإِحْسَانُ هُمَا الأَصْلَانِ المُتَقَدِّمَانِ وَهُمَا كَوْنُ القَوْلِ وَالعَمَلِ خَالِصًا للهِ صَوَابًا مُوَافِقًا لِلسُّنَّةِ وَالشَّرِيعَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ إِسْلَامَ الوَجْهِ للهِ هُوَ يَتَضَمَّنُ إِخْلَاصَ القَصْدِ وَالنِّيَّةِ للهِ، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ:

أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيهِ ... رَبَّ العِبَادِ إِلَيْهِ الوَجْهُ وَالعَمَلُ

وَقَدِ اسْتَعْمَلَ هُنَا أَرْبَعَةَ أَلْفَاظٍ: إِسْلَامُ الوَجْهِ وَإِقَامَةُ الوَجْهِ، كَقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٢٩].

وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠].

وَتَوْجِيهُ الوَجْهِ كَقَوْلِ الخَلِيلِ: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٩].

وَكَذَلِكَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي دُعَاءِ الِاسْتِفْتَاحِ فِي صَلَاتِهِ: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ»(١).

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٨).

وَكَانَ يَقُولُ إِذَا أَوَىٰ إِلَىٰ فِرَاشِهِ: «اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ»(١). رَوَاهُ البَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ فِي «الصَّحِيحِ» أَيْضًا.

فَالوَجْهُ يَتَنَاوَلُ المُتَوَجِّهَ - بِكَسْرِ الجِيمِ - وَالمُتَوَجَّهَ - بِفَتْحِ الجِيمِ - إِلَيْهِ، وَيَتَنَاوَلُ التَّوَجُّهَ نَفْسَهُ كَمَا يُقَالُ: أَيَّ وَجْهٍ تُرِيدُ أَيْ: أَيَّ جِهَةٍ وَنَاحِيَةٍ تَقْصِدُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمَا مُتَلَازِمَانِ؛ فَحَيْثُ تَوَجَّهَ الإِنْسَانُ تَوَجَّهَ وِجْهَهُ وَوَجْهَهُ مُسْتَلْزِمٌ لِتَوَجُّهِهِ وَهَذَا فِي بَاطِنِهِ وَظَاهِرِهِ جَمِيعًا، فَهِيَ أَرْبَعَةُ أُمُورٍ، وَالبَاطِنُ هُوَ الأَصْلُ وَالظَّاهِرُ هُوَ الكَمَالُ وَالشِّعَارُ، فَإِذَا تَوَجَّهَ قَلْبُهُ إِلَىٰ شَيءٍ تَبِعَهُ وَجْهُهُ الظَّاهِرُ، فَإِذَا كَانَ العَبْدُ قَصْدِهِ وَمُرَادُهُ وَتَوَجُّهُهُ إِلَىٰ اللهِ فَهَذَا صَلَاحُ إِرَادَتِهِ وَقَصْدُهُ، فَإِذَا كَانَ مَعَ ذَلِكَ مُحْسِنًا فَقَدِ اجْتَمَعَ لَهُ أَنْ يَكُونَ عَمَلُهُ صَالِحًا وَأَنْ يَكُونَ للهِ تَعَالَىٰ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وَهُوَ قَوْلُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ عَمَلِي كُلَّهُ صَالِحًا، وَاجْعَلْهُ لِوَجْهِكَ خَالِصًا، وَلَا تَجْعَلْ لأَحَدٍ فِيهِ شَيْئًا».

وَالعَمَلُ الصَّالِحُ هُوَ الإِحْسَانُ، وهُوَ فِعْلُ الحَسَنَاتِ وَهُوَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَالَّذِي أَمَرَ اللهُ بِهِ هُوَ الَّذِي شَرَعَهُ اللهُ وَهُوَ المُوَافِقُ لِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، فَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَىٰ أَنَّهُ مَنْ أَخْلَصَ قَصْدَهُ للهِ وَكَانَ مُحْسِنًا فِي عَمَلِهِ فَإِنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لِلثَّوَابِ سَالِمٌ مِنَ العِقَابِ.

وَلِهَذَا؛ كَانَ أَئِمَّةُ السَّلَفِ رَحِمَهُمُ اللهُ يَجْمَعُونَ هَذَيْنِ الأَصْلَيْنِ.

كَقَوْلِ الفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢] قَالَ: «أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا عَلِيٍّ، مَا أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ؟ فَقَالَ: إِنَّ العَمَلَ إِذَا

(١) أخرجه البخاري (٦٣١٣)، ومسلم (٧٠٥٩).

كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ، وَإِذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ، حَتَّىٰ يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا، وَالخَالِصُ: أَنْ يَكُونَ للهِ وَالصَّوَابُ: أَنْ يَكُونَ عَلَىٰ السُّنَّةِ.

وَقَدْ رَوَىٰ ابْنُ شَاهِينَ وَاللَّالَكَائِيُّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: «لَا يُقْبَلُ قَوْلٌ إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا يُقْبَلُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ وَلَا يُقْبَلُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ».

وَرَوَيَا عَنِ الحَسَنِ البَصْرِيِّ مِثْلَهُ، وَلَفْظُ مَا رُوِيَ عَنِ الحَسَنِ: «لَا يَصْلُحُ» مَكَانَ: «لَا يُقْبَلُ».

وَهَذَا فِيهِ رَدٌّ عَلَىٰ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مُجَرَّدَ القَوْلِ كَافِيًا، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَابُدَّ مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، إِذِ الإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، لَابُدَّ مِنْ هَذَيْنِ كَمَا قَدْ بَسَطْنَاهُ فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ، وَبَيَّنَّا أَنَّ مُجَرَّدَ تَصْدِيقِ القَلْبِ وَنُطْقِ اللِّسَانِ مَعَ البُغْضِ للهِ وَشَرَائِعِهِ وَالاسْتِكْبَارِ عَلَىٰ اللهِ وَشَرَائِعِهِ لَا يَكُونُ إِيمَانًا بِاتِّفَاقِ المُؤْمِنِينَ حَتَّىٰ يَقْتَرِنَ بِالتَّصْدِيقِ عَمَلٌ صَالِحٌ.

وَأَصْلُ العَمَلِ عَمَلُ القَلْبِ وَهُوَ الحُبُّ وَالتَّعْظِيمُ المُنَافِي لِلبُغْضِ وَالاسْتِكْبَارِ ثُمَّ قَالُوا: «لَا يُقْبَلُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ» وَهَذَا ظَاهِرٌ، فَإِنَّ القَوْلَ وَالعَمَلَ إِذَا لَمْ يَكُنْ خَالِصًا للهِ لَمْ يَقْبَلْهُ اللهُ تَعَالَىٰ، ثُمَّ قَالُوا: لَا يُقْبَلُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ وَهِيَ الشَّرِيعَةُ وَهِيَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ ﷺ؛ لأَنَّ القَوْلَ وَالعَمَلَ وَالنِّيَّةَ الَّذِي لَا يَكُونُ مَسْنُونًا مَشْرُوعًا قَدْ أَمَرَ اللهُ بِهِ يَكُونُ بِدْعَةً، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ لَيْسَ مِمَّا يُحِبُّهُ اللهُ، فَلَا يَقْبَلُهُ اللهُ وَلَا يَصْلُحُ، مِثْلُ أَعْمَالِ المُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الكِتَابِ.

وَلَفْظُ السُّنَّةِ فِي كَلَامِ السَّلَفِ يَتَنَاوَلُ السُّنَّةَ فِي العِبَادَاتِ وَفِي الاعْتِقَادَاتِ، وَإِنْ كَانَ كَثِيرٌ مِمَّنْ صَنَّفَ فِي السُّنَّةِ يَقْصِدُونَ الكَلَامَ فِي الاعْتِقَادَاتِ.

وَهَذَا كَقَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنهم: «اقْتِصَادٌ فِي سُنَّةٍ

خَيْرٌ مِنِ اجْتِهَادٍ فِي بِدْعَةٍ» وَأَمْثَالِ ذَلِكَ.

وَاللهُ ﷻ أَعْلَمُ، وَالْحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا.

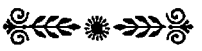

فهرس الموضوعات

مقدمة الكتاب..... ٥
فصل: في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..... ٦
رسالة الله إما إخبار وإما إنشاء ٦
الإنشاء هو الأمر والنهي والإباحة ٦
تابع الكلام علىٰ الأمر بالْمَعروف والنهي عن الْمُنكر ٧
ذم البخل والجبن في الكتاب والسنة ٣٧
ذم البخل..... ٣٧
ذم الجبن..... ٥٠
مدح الشجاعة والكرم..... ٥٠
الصبر صبران: صبر عند الغضب، وصبر عند المصيبة ٥٥
الشجاعة والسماحة الْمَحمودان فِي الكتاب والسنة..... ٦١
أمر الله الْمُؤمنين بالإيْمَان والعمل الصالح ودعوة الناس وجهادهم علىٰ ذلك ٦٤
يتعرض الْمَرء للفتنة عند الأمر بالْمَعروف والنهي عن الْمُنكر ٦٥
فصل: شروط قبول الأقوال والأفعال..... ٧٢
الفهرس..... ٨٠